الثقافة الإسلامية
والتحديات الفكرية المعاصرة

بقلم
دكتور
خليفة حسين العسال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى ورسول السلام محمد بن عبد الله خير من تحمل عبء الدفاع عن رسالته ضد كل التحديات التي واجهته حتى كال الله جهاده بالنصر و كفاحه بالنجاح ﷺ .

وبعد :

فإن الثقافة الإسلامية تواجه في عصرنا الحاضر بتحديات متعددة بسبب ما أنتجه الصراع الطويل والاحتكاك الشديد بين التراث الإسلامي والحضارة الغربية والماركسية لما لهما من أفكار تخالف الإسلام في النظرة إلى الكون والحياة وخالقهم عز وجل .

كما أنهما لا يؤمنان بعلاقة الوحي وأهميته لهداية الإنسان وتنظيمه لكل شئون حياته . ولذلك عملت مراكز الفكر الغربي ، والماركسي على الهجوم على الإسلام ورسول الإسلام كما عملت على التشكيك في جدوى عقيدته وشريعته ونظام حياته محاولة نقل أفكارها إلى المجتمع الإسلامي لتزرع الانفصال بين المسلم وعقيدته وعبوديته لله عز وجل بطرق متباينة تتمثل في التبشير والاستشراق والتغريب وغيرها من الوسائل التي استهدفت غزو المسلمين فكريا فروجت للمفاهيم المخالفة لأصول الإسلام وروحه حتى استطاعت أن تصل إلى النفوس بطريق التلبيس والتدليس .

وهكذا ازداد التيه الفكري والتمزق النفسي وأصبحت الأمة فريسة هذه المفاهيم لخططها الدقيقة وأساليبها المنظمة مما جعل الأمة الإسلامية تعيش في سياق التبعية والانقياد ، ولا يمكن التغلب على هذه المفاهيم إلا بالرجوع إلى الإسلام من جديد للارتواء من منابعه ومن هنا كان التفكير في تدريس مادة الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعات المصرية بلا

استثناء من أهم السبل التى اهتدى اليها القائمون على أمر التعليم كى تمهد للإسلام فى عملية التأصيل والتجديد التى يمكن من خلالها التغلب على التحديات المعاصرة التى تبثها المذاهب المخالفة للإسلام .

وهذا الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود من كل المؤسسات التربوية والعلمية والفكرية والتوجيهية وأن تغير من نفسها وأن تعيد صياغة مناهجها واتجاهاتها وفق القيم والمفاهيم الإسلامية ، وإلا كان أمرنا كما يقول القائل .

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وسيكون البحث بمشيئة الله تعالى محاولة جادة للتعريف بالثقافة الإسلامية ومايواجهها من تحديات عصرية مناهضة : فما الثقافة إذن ؟.

مفهوم الثقافة :

أولا : فى اللغة :

(أ) اللغة العربية : أصل كلمة ثقافة فى اللغة العربية مأخوذ من الفعل [ثقف] بضم القاف وكسرها ولهذا لفعل معان عدة فى معاجم العربية[1] ومنها مايلى :

١ — الحذق والفطنة وسرعة الفهم تقول ثقف الرجل .

٢ — سرعة التعلم وفهم العلم ، وثبوت المعرفة بما يحتاج اليه كما يقال غلام لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء والمراد أنه سريع الفهم ثابت المعرفة بما يحتاج إليه .

---

(١) راجع الزمخشرى : أساس البلاغة جـ ١ ص ٥١ . الفيروزبادى : القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٢٥ ، ابن منظور لسان العرب جـ ٩ ص ٢٠

٣ — التهذيب والتأديب : تقول ثقف المعلم الطالب .

٤ — تسوية المعوج من الأشياء كالرماح والسيوف تقول : ثقف الصانع الرمح .

٥ — إدراك الشيء والحصول عليه والظفر به وهذا المعنى هو الذى دارت حوله كلمة [ثقف] فى القرآن الكريم قال تعالى : مخاطبا المؤمنين فى شأن المشركين المعتدين [واقتلوهم حيث ثقفتموهم][1] أى حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم فى حل أو حرم[2] . وقال تعالى : (فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم][3] أى فإما تصادفنهم وتظفر بهم فنكل بهم ... أى غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليعتبر بهم من سواهم من الأعداء الكفرة فلا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبار ابما حدث لهم .

وإذا أضيفت هذه الكلمة إلى فن أو علم معين كالشعر أصبحت ملكة فى الشعر ، وإذا ذكرت دون أن تضاف إلى علم أو فن فهى كلمة عامة ويطلق عليها ثقافة عامة .

وبتدبر مدلول كلمة الثقافة فى اللغة العربية يتضح أنها تستعمل فى الأمور المعنوية كما أنها تستعمل فى الأمور الحسية غير أن دلالتها فى الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات .

ويقال إن أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازى هو الخطيب الرومانى (شيشرون) عندما سمى الفلسفة فلاحة العقل أو تنميته .

وفى أوائل العصور الحديثة أصبحت كلمة [ثقافة] تدل على تنمية

---

(١) الآية رقم ٩١ من سورة النساء

(٢) الصابونى صفوة التفاسير المجلد الأول ص ١٢٦ .

(٣) الآية ٥٧ من سورة الأنفال — انظر تفسير القرطبى فى معنى ثقف فى شرح الآيتين الكريمتين .

العقل والذوق ثم أخذت تطلق على ناتج عملية تنمية العقل والذوق ، وأول ماطرأ على مفهومها من تغير هو تحول معناها من الدلالة على أحوال الأفراد إلى الدلالة على أحوال المجتمعات حتى صارت تطلق على جميع عناصر الحياة ومظاهرها فى مجتمع من المجتمعات التى تشكل فى مجموعها طريقة حياة ذلك المجتمع(١) .

هذا بالنسبة لما يتعلق بمفهوم كلمة ثقافة فى اللغة العربية .

(ب) فى اللغات الأوربية :

إن كلمة [ثقافة] لها مدلول أيضا فى اللغات الأوربية حيث إن هناك معنيين لكلمة ثقافة يخضع كل معنى منهما لمجموعة اللغات الأوربية .

فى اللغات ذات الأصل اللاتينى كالفرنسية والإيطالية ترجع كلمة [Culture] إلى الفعل اللاتينى [Colere] بمعنى (ربى) و (اعتنى) كما جاءت كلمة [Cnlture] وثيقة الصلة بزراعة الأرض وفلاحتها وتهذيب الروح وعبادة الله والتمجيد والتعظيم ، وتدور معانيها فى الغالب حول العناية والتربية ودوام التعهد والاعتناء . ولهذا يأتى التعبير بها فى المفهوم اللاتينى للدلالة على الجانب الفكرى من الحضارة بوجه عام .

كما يعبر بكلمة [Civilization] للدلالة على الجانب المادى فى حين أن هاتين الكلمتين تكونان مترادفتين فى المفهوم اللغوى فكلمة [Culture] كثيرا ما تأتى مترادفه مع كلمة [Civlizalion] فى القواميس الإنجليزية والأمريكية(٢) .

(١) راجع : صالح دياب هندى : دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ١٣ ط ثالثة . سنة ١٩٨٢ م .

(٢) د/ عبد الحليم عويس : ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة ص ١٥ ط الرياض سنة ١٩٧٩

وبهذا يتضح أن كلمة ثقافة فى اللغات الأوربية تستعمل بكثرة فى الأمور المعنوية العقلية وبالأخص فى اللغات ذات الأصل اللاتينى كما تقدم .

ثانيا : فى الإصطلاح :

تكثر التعريفات الخاصة بمدلول كلمة [ثقافة] وهى مع كثرتها تتقارب فى الفكرة وتتفاوت فى الألفاظ وإن كانت لا تتعارض فيما بينها بل يكمل بعضها بعضا ، وهذا التفاوت والتباين فى تحديد مفهوم الكلمة أدى إلى عدم الوصول إلى تعريف للثقافة جامع مانع كما يقول المناطقة .

وباستعراض ما توصل إليه العلماء من تعريفات تبين أنها كلها تتأثر بعامل الزمان والمكان ونوع العلم الذى ينتسب إليه صاحب التعريف فمعناها فى العصر العباسى الأول عبارة عن المشاركة البارعة فى فروع شتى من المعرفة وبراعة تطبيقها وتصريفها)(١) .

كما أن معناها فى الغرب منذ العهد الرومانى ارتبط بالعلوم الإنسانية غير التجريبية والتى تتميز فيها كل أمة عن الأمم الأخرى كعلوم الدين واللغة والآداب التى تدخل فيها الفلسفة والفنون أما فى عصر النهضة فأطلق مدلول الكلمة على الآداب والفنون(٢) .

يقول : (هنرى لاوست) [إن الثقافة هى مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التى يتكون منها مبدأ خلقى لأمة ما ، ويؤمن أصحابها

(١) انظر عبد الله العلايلى : المرجع : مادة ثقف .

(٢) د/ حسين مؤنس : الحضارة ص ٣٩٦ ط الكويت .

بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها][1] .

ويعرفها (آرنست باركر) بأنها (ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل ، وتغلب عليها بوجه عام عقيـــدة دينية هى جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة][2] .

أما فيما يتعلق بالمعنى الحديث للثقافة فهذا يعد مشكلة معقدة نظرا لتعدد التعريفات وتنوعها مع غموض فى تحديد معنى المصطلح نظراً لجنوح كل صاحب علم إلى التعريف بها من وجهة نظر العلم الذى ينتمى إليه فمثلا يعرفها علماء الاجتماع بأنها [عبارة عن الأنماط الذاتية التغير للسلوك الإنسانى المكتسب] — ويعرفها علماء التربية بأنها [مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات ، والتقاليد ، والعادات والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة والنظام الأسرى وتراث الماضى بقصصه ورواياته ... وطبيعة المؤسسات الاجتماعية فى المجتمع الواحد][3] .

كما عرفها بعضهم بأنها [مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة فى جماعة معينة كما يمكن متابعه آثارها فى كل دوائر النشاط الإنسانى كالسياسة والحقوق والدين والفن والمعرفة العقلية بمختلف صورها][4] .

---

(١) د/ عاطف غيث : دراسات إنسانية واجتماعية ص ٦٥ ط دار المعارف سنة ١٩٦٥ م .

(٢) د/ مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ص٥٧ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م .

(٣) د/ محمود شفشق ، وآخرون : التربية المعاصرة ص ٣٩ .

(٤) كروبر : مجلة التربية العامة ص ٢ سنة ١٩٤٩ فى موضوع مفهوم الثقافة فى العلم .

والحق أن الثقافة ليست شيئا جزئيا بل هى أمر كلى ، فالثقافة ليست العلم بمفرده وليست التربية بذاتها ، وليست العادات والتقاليد منفردة ، وليست العقائد والمذاهب بنفسها وإنما كل واحد من هذه العناصر يشكل واحداً من عناصر الثقافة .

ويمكن أن نضع تعريفا كليا للثقافة يحتوى على مضمون ما سبق من تعريفات. فهى عبارة عن [مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة على مر الأيام تكسب الإنسان سلوكا مميزا يتفوق به على ما عداه نتيجة تطور عضوى وعقلى واجتماعى ووجدانى][1] .

وهذا التعريف يعتبر أكثر كلية وشمولا حيث إنه يشتمل على كل عناصر التعريفات السابقة للثقافة ولا يتعارض فى الوقت نفسه معها . هذا عن الثقافة بوجه عام. وحتى يتضح المفهوم لهذه الكلمة لا بد أن نقف على الفرق بينها وبين العلم والحضارة والمدنية زيادة فى الإيضاح .

الفرق بين الثقافة والعلم :

بالتأمل الدقيق فى كل من الثقافـــة والعلم يتضح أن كلا منهما معرفة ولكن هناك فروق جوهرية فى كل منهما للأمور الآتية .

١ — العلم عبارة عن مجموعة المعارف التى تؤخذ عن طريق التجربة والملاحظة والاستنتاج كالعلوم التطبيقية كعلم الكيماء والطبيعة وسائر العلوم التجريبية الأخرى أما الثقافة فهى كما سبق مجموعة من المعارف تؤخـــذ عن طريق الأخبار والتلقى والاستنباط مثل التاريخ والأدب والفلسفة والفنون كالتصوير والنحت وما يتبعها .

---

(١) راجع . د/ محفوظ عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ص١٧

٢ — إن العلم عالمى لا وطن له ولا أمة فلا تختص به أمة دون سائر الأمم الأخرى ولا يقتصر على شعب دون شعب ،وإنما هو مشترك بين الجميع أما الثقافة فهى خاصة بأمة معينة ومقتصرة على شعب معين .

٣ — إن العلم يؤخذ أخذاً عالمياً دون قيود لأنه محصلة إسهام الأمم كلها خلافاً للثقافة .

٤ — إن العلم نظرى أكثر منه عملى فى حين أن الثقافة سلوك أكثر منها معرفة . فهى علم وعمـــل وفكر وسلوك واتجاه وعاطفة فى وقت واحد .

٥ — إن العلم جزء من الثقافة لأنه لا يتصف بصفة واحدة مميزة كما هو حال الثقافة التى هى أعم وأشمل .

٦ — مكانة الثقافة من التعليم والتربية مكانة الدرجة الأعلى فالتعليم قاصر على الإعداد المدرسى والدراسى لتكوين العقلية المؤهلة للثقافة ، أما الثقافة فهى الدرجة الأعلى التى تكون الفرد تكوينا ممتازاً[1] .

ومن هذه الفروق نستنتج أن الثقافة ليست مرادفة للعلم فى معناها وأنه لا يجوز أن نخلط بينهما لأن هـــذا يؤدى إلى تصور خاطىء يجعل الثقافة محصورة فى فئة محدودة من أبناء انجتمع مع العلم بأنها تشمله كله بجميع فئاته وطوائفه وتعبر عن أفكاره ، واتجاهاته .

(١) راجع : صالح دياب هندى : دراسات فى الثقافة الإسلامية ، أنور الجندى : الثقافة ص٤ ود / ناديه شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية ص ١٥ ، ١٦

العلاقة بين الثقافة والحضارة :

يخلط الكثير من الباحثين بين مفهوم الكلمتين ويظنون أنها ذات معنى واحد والحقيقة أنهما تختلف فى معناهما اختلافاً واضحاً وإن كان هناك رباط وثيق بينهما ذلك لأن ثقافة كل أمة هى أساس حضارتها فهى حركتها وأسلوب حياتها ، ولهذا فإن من حق كل أمة أن تقتبس الجانب المادى فى الحضارة لأمة أخرى بوصفها أدوات ووسائل ومواد أولية، ولا تقتبس ثقافتها لأنها ذاتية وخاصة بهذه الأمة وحدها ، وهذا أدى بدوره إلى وجود خلاف بين المفهومين نظراً لتلازمها واختلاف معنى كل واحدة عن الأخرى مما ترتب عليه تشويش فكرى ، لهذا فإن توضيح العلاقة بين هاتين الكلمتين أمر ضرورى من الناحية الفكرية والدراسية والإنسانية .

والحضارة لغة هى الإقامة فى الحضر ، والحاضرة هى المدن والقرى والريف ، هى عكس الباديه التى تعنى التنقل فى البوادى وعدم الإستقرار أما معناها فى الإصطلاح فأرجح ما قيل فى معناها أنها (مجموعة المفاهيم النابعة من وجهة نظر أمة من الأمم فى مجالات الحياة المختلفة على النحو الذى يميزها عن غيرها من الجماعات أو الأمم الأخرى)[1] .

أما عن العلاقة بين الثقافة والحضارة فقد ذكرت حولها آراء مختلفة نذكر منها ما يلى :

١ — فريق يرى أنه لا فرق بين الثقافة والحضارة فهمـــا مفهومان لمسمى واحد ،

(١) انظر : د/محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ص ٨ ، ٩

٢ — ويرى فريق آخر أن الثقافة مغايرة للحضارة فالثقافة تقتصر على الأمور الإعتقادية فى حين أن الحضارة تقتصر على عناصر الرقى المادى للمجتمع .

٣ — ويرى فريق ثالث أن الثقافة تشمل الحضارة وأن الحضارة تمثل الجانب الفكرى أو المعنوى من الثقافة . وهذا الرأى يجعل الثقافة أعم وأشمل من الحضارة لأن الثقافة تتصل بحياة الأفراد والمجتمعات بجوانبها الفكرية والمادية أما الحضارة فتقتصر على الناحية المادية المتصلة بقدرة الفرد أو المجتمع على فهم الحياة والسيطرة عليها[1] .

وإنى أميل إلى هذا الرأى حيث إن الثقافة تتفق مع الحضارة فى بعض الأمور وتنفصل عنها فى البعض الآخر فهى أعم وأشمل وإن كان هناك من العلماء من يرجح — الرأى الأول لما بينهما من تلازم وارتباط فيجعل كلا من المصطلحين لفظين لمعنى واحد أو وجهين لعملة واحدة .

العلاقة بين الثقافة والمدنية :

المدنية لغة : مشتقة من مدن الدائر أى مصرها وبادا وقيل إنها مشتقة من مدن أى أقام فى المدينة وعاش فيها ، ومنها تمدن أى تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل فى حالة الحضارة[2] .

(١) راجع : عمر عودة الخطيب . لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٤٤، ٤٥ ، محمد المبارك : الفكر الإسلامى فى مواجهة الأفكار الغربية ص ٢٧ . يوسف كمال محمد ، مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام : ص ٣ ، ٤

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، حـ ٤ ص ٥٥٢

وفى الإصطلاح : عبارة عن الأشكال المادية المحسوسة التى تستعمل فى شئون الحياة المختلفة أو هى المظهر المادى من الحياة ، والأشكال المادية الإنتاجية التى تعنى الحالة الراقية التى توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم والفنون ، والصنائع .

والمدنية نوعان : مدنية عامة ، ومدنية خاصة :

(ا) فالمدنية العامة : هى المدنية الناشئة عن العلم والصناعة وتطبيقاتها فى الحياة مثل أدوات المعامل والآلات والصناعات بأنواعها وما يحتاجه الإنسان من أشياء مادية لتأمين متطلبات الحياة وهذه المدنية لا يراعى عند أخذها حرج أو قيد لأنها ليست مرتبطة بفكر معين وإنما ارتباطها بالعلم وقوانينه متى وأين وجد ؟

(ب) أما المدنية الخاصة : فهى المدنيه الناشئة عن العلم والصناعة وتطبيقاتها فى الحياة غير أنها تمثل فكرا معينا ، أو وجهة نظر أمة من الأمم فأى ناتج مادى يتحول من مدنية عامة إلى مدنية خاصة إذا ميز بعلامة أو إشارة خاصة تميز أمة من الأمم عن غيرها وكل أمة من الأمم لها طابعها الخاص الذى يميزها عما عداها[1] .

أما عن علاقة الثقافة بالمدنية فقد وضح أن المدنية تختص بالأمور المادية على خلاف الثقافة التى تشمل كل التصورات والأفكار والسلوك والآداب وكل المعانى التى تدخل فى الجانب المادى والجانب المعنوى .

(١) راجع د/أحمد نوفل وآخران : فى الثقافة الإسلامية ص ١٤ نقلا سعيد حوى : منطلقات اسلامية لحضارة عالمية جديدة ص ٦ — ٣٣ ط دار عمار — عمان سنة ١٩٨٣م .

طرق تحصيل الثقافة :

يستطيع الإنسان أن يتزود بزاد من العلوم والمعارف عن طريق التعليم فى المدارس الأكاديمية ذات المناهج الدراسية والخطط المنهجية أو بطريق القراءة الحرة البعيدة عن المدارس ومناهجها ومن المعروف أن هناك بعض الأشخاص لم تتح لهم فرص التعليم المدرسى الذى يأخذ بيدهم إلى مستوى الثقافة ولكنهم مع هذا انتهى بهم الأمر إلى أن أصبحوا فى طليعة المثقفين على مستوى ثقافة بلدهم وربما وصل بهم هذا المستوى إلى الثقافة العالمية الشاملة فى أعم مفاهيمها . وليس معنى ذلك إهمال المدرسة فلا ينبغى أن يتطرق هذا إلى الأذهان لأن التعليم المدرسى يزود الإنسان منذ نعومة أظفاره بأساسيات كثيرة من العلوم ويفتح الطريق أمامه للتزود بالمعرفة الصحيحة فى مختلف فروع العلم الواحد حيث يأخذ بيده إلى التعرف على المنهج العلمى السليم لتلقى العلوم والانتفاع بها .

مفهوم الثقافة الإسلامية .

حينما يعرض الباحث لمفهوم الثقافة الإسلامية يجد نفسه أمام ثقافة روحية إلهية واقعية ، ثقافة تقف كالطود الشامخ فى مواجهة الثقافات الوضعية المادية سواء أكانت شرقية أم غربية والثقافة الإسلامية هى أصل الحياة . ودم الوجود ، وقوام الشخصية وكيان الإنسان لأنها الثقافة التى تحدث عنها القرآن الكريم بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)[1] .

فالإسلام « عقيدة وشريعة وأخلاقا » وما يحيط به من فكر إسلامى

(١) الآية ٢٤ من سورة الأنفال

إنما هو الحياة . وليس استيعاب ذلك كله إلا ما يمكن تسميته بروح الثقافة الإسلامية وتعرف بأنها طريقة الحياة التى يحياها المسلمون فى جميع مجالات حياتهم وفقا للإسلام وتصوراته)[1]

وبذلك تشمل الثقافة الإسلامية العلم والعمل والفكر والسلوك القائم على الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته أو هى (الصورة الحية للأمة الإسلامية)[2]

فهى شخصيتها وقوام وجودها . وعقيدتها التى تؤمن بها . ومبادؤها التى تحرص عليها ، ونظمها التى تعمل على التزامها وتراثها الذى تخشى عليه من الضياع وفكرها الذى تود له الذيوع والانتشار .

أو هى (مجموعة الصفات والخصائص النفسية والعقلية والفكرية والخلقية والسلوكية التى تتميز بها الشخصية الإسلامية . المكتسبة من معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة ومقومات الدين الإسلامى — والمستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة واجتهادات العلماء والمفكرين والمتفاعلة مع واقعنا العالمى المعاصر تأثيرا وتأثرا)[3]

وهذا التعريف يعتبر تعريفا كليا جامعا يجعل لهذه المادة منهجا خاصا كما أنه علم يهتم بالأسس والمقومات التى نستطيع بها أن نحدد الشخصية الإسلامية المتميزة التى تمثل الإسلام فكرا وواقعا وتدعو إليه ، وتزود عنه بحيث تكون للشخصية الإسلامية علامتها المميزة لها عن غيرها . وبهذا تصبح الثقافة الإسلامية ذات دور بارز فى مواجهة الثقافات الأخرى شرقية أو غربية .

(١) انظر صالح دياب هندى : دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ١٩

(٢) عمر عوده الخطيب لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٣

(٣) محفوظ عزام نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٣٠

الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات :

تختلف الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى شرقية كانت أو غربية من حيث الأسس والمقومات والأهداف .

فالثقافة الإسلامية تستمد كيانها من الإسلام متمثلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بينما تقوم الثقافة الغربية على مصادر مأخوذة من الفكر اليونانى والقانون الرومانى وتفسيرات المسيحية التى وصلتها .

أما الماركسية فتستمد أصولها من تعاليم (ماركس) و(لينين) ، و (إنجلز) وغيرهم من أصحاب الفكر المادى وأصحاب المادية الجدلية .

والثقافة الإسلامية تهدف إلى نشر العدل ومعانى الأخوة بين كافة الأجناس البشرية والفئات المختلفة ، بينما الثقافات الأخرى تهدف إلى استغلال الغنى للفقير واستعباد الناس بعضهم بعضا واستعمار القوى للضعيف . والتسلط على خيرات البلاد واستخدامها وفق مايحقق لأتباعها النفع والمصلحة الخاصة(١)

وهذا يؤكد مدى ارتباط وتشابك جوانب الحياة الإسلامية بحيث لايمكن انفصال بعضها عن الآخر بحال من الأحوال .

فكل جوانب الحياة فى الإسلام سياسية أو اقتصادية أواجتماعية أو أخلاقية . . . إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب العقدى .

بخلاف الفكر المعاصر غربا أو شرقا فهو إنسانى يعتمد على مذاهب

(١) انظر : د/ نادية العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ص ١٨

اجتماعية وضعية معظمها منحرف فى الجانب الاقتصادى مثلا يتجه الفكر الرأسمالى إلى الفردية بينما يتجه الفكر الماركسى إلى الجماعية مع إباحة الربا ، أما فى التربية . فلابد من فصل الدين والأخلاق عن مفاهيم التربية والتعليم ، وكذا فى الجانب السياسى .

وبالنسبة للأخلاق : فهى قيم ذاتية منفصلة عن الدين وليس لها إلزام خلقى .

أما الفن : فهو عبارة عن انطلاق كامل من مختلف القيود الأخلاقية والاجتماعية .

وكذا القانون الذى يتضمن تحرراً كاملا فى مجال العلاقة بين الرجل والمرأة . وإطلاق الحرية الشخصية بلا حدود ، أما الدين عندهم فهو شىء غامض كالإيمان بالطبيعة أو الإلحاد أو الوثنية أو المادية أو غيرها

يقول دوركايم : (الدين ليس فطرة وإنما هو ظاهرة اجتماعة فرضت سلطانها على الأفراد فرضاً)

ويرى (ماركس): (أن الدين أفيون الشعب وأنه مجموعة من الأساطير صنعها الإقطاعيون والرأسماليون لتخدير الشعوب الكادحة .

أما (فرويد) فيرى أن الدين ناشىء عن الكبت وعن عقدة أوديب من العشق الجنسى .

ويقول (نيتشه (ان فكرة الله تسقط ظلال الخطيئة على براءة الأرض وأنه لابد للمؤمنين بالحس الأرضى أن يهووا بمعاولهم على هذه الفكرة(١)

(١) راجع محمد خليفة التونسى : الخطر اليهودى : ص ٨٢ ، ٨٣ تقديم العقاد ط الخانجى بالقاهرة والمثنى بغداد

واليهود هم الذين روجوا لهذه الأفكار والآراء فى أرجاء الدنيا، وهم الذين تبنوا توصيل هذه المفاهيم إلى العالم كله لاعتناقها بتدبير دقيق وتخطيط منظم ا ويشهد على ذلك ما صرحوا به فى بروتوكولاتهم نصا حيث قالوا : [لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح [دارون] و [ماركس] و [نيتشه] قد رتبناه من قبل .

والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى [1] سيكون واضحا لنا على التأكيد[2] .

والحقيقة أن هذه النظريات المذهبية أثبتت فشلها لأنها نظرت إلى الإنسان كمادة فقط لاروح فيه ، فالإنسان فى نظرهم محكوم بالقانون الوضعى فقط ويعمل بدافع القوة الخارجية وحدها أما فى المجتمع الإسلامى فيعتمد على قوة ذاتية من خلالها يتحرك فى حياته .

وهذه القوة تسمى بالوازع الدينى الذى ينبثق منه الضمير الإنسانى :

وفى الإسلام توازن بين الفرد والمجتمع فلا تركيز على الفرد ولا إهدار لكرامته ، كما أن التكافل الاجتماعى فى الاسلام يقوم على أساس من الإخوة الإيمانية ، والاعتراف بأن طبيعة الانسان مادية روحية وواقعية مثالية فليس جسدا خالصا ولا روحا خالصا وإنما تتحقق الإنسانية بانصهارهما فى جسم إنسانى واحد .

ولذلك كان هناك تباين واضح فى الأهداف والغايات بين الثقافة الإسلامية وسائر الثقافات الوضعية .

(١) غير اليهودى .

(٢) محمد خليفة التونسى : المرجع السابق ص ١١٢

أهداف الثقافة الإسلامية :

تهدف الثقافة الإسلامية كعلم من العلوم له خططه وأسسه ومناهجه فى شتى المؤسسات التعليمية إلى أهداف سامية تتمثل فيما يأتى :

١ — إعادة بناء التصور الإسلامى الصحيح فى عقلية الطالب المسلم على نحو يرى فيه النظرة الشاملة الكلية للحياة وما يدور فيها من أنشطة مختلفة فى شتى المجالات .

٢ — أن يكون هذا التصور من خلال تجربة الإسلام الحضارية الرائدة مع عرض واقع المسلمين وما أصابهم فى عهود الضعف والتخلف ، وواقع الانحلال الثقافى والغزو الفكرى والسياسى والاجتماعى الذى حل بهم مع بيان العبرة من ذلك .

٣ — إحياء الانتماء إلى الإسلام ولأمته بتزكية روح العمل بمبادئه وبيان دوره الأساسى فى علاج الواقع الأليم لحال الأمة الإسلامية .

٤ — القيام بوصل العلوم التجريبية الحديثة بجهود المفكرين من السلف فى نفس الميادين والاقتدار على التوفيق بين حقائق الدين والعلم والعمل على وحدتهما لترشيد العلم سعيا إلى خير البشرية فى الدنيا والآخرة .

٥ — دراسة الاتجاهات الإصلاحية والتجديدية فى أى فرع من العلوم والتى يموج بها العالم الإسلامى ودراسة أساليبها وتقويمها لكشف الباطل منها وتقوية الصالح فيها[1] .

(١) د / أحمد العسال : مادة الثقافة الإسلامية : أهدافها وأبعادها مجلة المسلم المعاصر عدد ١٥ سنة ١٩٧٨ ص ١٥٣

ولهـــذه الأهداف السامية كانت الثقافة الإسلامية ضرورة ملحة للمسلم المعاصر لما يأتى:

أولا : فهى ضرورية للمسلم المعاصر فى عصر الصراع (الايديولوجى) الذى يحيط به من كل ناحية .

ثانيا : لمحاربة الاحتلال الثقافى والغزو الفكرى المتمثل فى نشر المذاهب الهدامة والتصورات الباطلة .

ثالثا : لتقديم الفكر الإسلامى الأصيل وإبراز تجربته الرائدة للعالم كله بوصفه فكراً قوياً قادراً وليس بوصفه فكرا خائفا متواريا يخشى على نفسه من أى ريح تهب فتجرفه فى سياقها .

رابعاً : للحفاظ على ذاتية المسلم وهويته فكراً وسلوكا .

خامسا : للرجوع بالمسلمين إلى الوضع الذى كانوا عليه فى أيام الراشدين والأمويين والعباسيين .

سادسا : للتفاعل مع عالم اليوم الذى يحترم من يصارعه ويقف فى وجهه لامن يقلده ويحذو حذوه .

وفى هذا بيان كاف لأهميته الثقافية الإسلامية ومدى الحاجة لدراستها .

السمات المميزة للثقافة الإسلامية

للثقافة الإسلامية سمات مميزة وخصائص تنفرد بها عن سائر الثقافات تجعلها ذات شخصية مستقلة وصبغة منفردة وطبيعة خاصة .

وتتمثل هذه السمات فيما يأتى :

أولا : ربانية المصدر :

فهى مستمدة من النبع السماوى الإلهى الصافى القرآن الكريم ذلك الكتاب الخالد الموحى به إلى رسوله محمد ﷺ المحتوى على ينابيع العلم والمعرفة ويتجلى هذا فى إشادة القرآن بوسيلة العلم وأدائه فى أول مانزل منه من سورة العلق وفيها إشارة بليغه إلى الحث على التعليم بالقراءة والكتابة كما يتجلى هذا المعنى فى تقدير القرآن الكريم لطائفة العلماء وتكريمهم قال تعالى : [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات][1] .

وقـــد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الحقائق العلمية مما يبين اهتمام القرآن الكريم بكافة العلوم النظرية والتجريبية والمعارف العلمية والفكرية ، ومن أروع ما ذكر فى كتاب الله إشارة إلى حقائق تتعلق بعدد من فروع العلم التجريبى ، قوله تعالى : [وأنبتنا فيها من كل شىء موزون][2] ، وقوله تعالى : [إنا كل شىء خلقناه بقدر][3] ، وفيها يشير القرآن الكريم إلى حقيقة كيميائية تقرر أن العناصر الداخلية فى تركيب الأجسام تتألف من نسب معينة وموازين مقدرة .

(١) الآية رقم ١١ من سورة المجادلة .
(٢) الآية رقم ١٩ من سورة الحجر .
(٣) الآية رقم ٤٩ من سورة القمر .

وفى قوله تعالى [وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم][1] وفى هذا إشارة إلى حقيقة تتعلق بعلم الأحياء حيث تقرر أن جميع الأجهزة العضوية الموجودة فى الحيوانات تتطابق مع الأجهزة العضوية الموجودة فى الإنسان كالجهاز الهضمى والعصبى... إلخ.

كما أن فى قوله تعالى [حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير][2] إشارة إلى ما يسمى بالطب الوقائى كما يشير القرآن الكريم إلى علم الميقات الذى تدور عليه مصالح الناس ومواقيتهم والذى هو فرع من علم الفلك فى قوله تعالى [هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب][3].

وما أكثر الإشارات القرآنية إلى حقائق[4] كثير من العلوم والمعارف، وعلى الرغم من كثرة هذه الإشارات واشتمال القرآن الكريم على كثير منها فليس معنى ذلك أن القرآن الكريم كتاب فن من الفنون أو علم من العلوم المتعارف عليها بين الناس كالطبيعة أو الأحياء أو الكيمياء إلى غير ذلك وإنما هو كتاب عقيدة فقط لا يطلب مطابقة المسائل العلمية كلما ظهرت منها مسألة لجيل من الأجيال كما لا يطلب من المؤمنين به أن يعكفوا على استخراج تفصيلات تلك العلوم كما هو الحال فى معامل التجربة والدراسة لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان

(١) الآية رقم ٣٨ من سورة الأنعام
(٢) الآية رقم ٣ من سورة المائدة
(٣) الآية رقم ٥ من سورة يونس
(٤) راجع الشيخ السايس : تاريخ الفقه ص ١٥٠ راجع

وجهوده كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه[1]، كما أن الهدف من كل ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات لهذه العلوم والمعارف أمران اثنان :

أولهما : حث الإنسان على التفكير السليم والنظر الصحيح فى عالم النفس وآفاق الكون وما فيه من آيات ظاهرة على قدرة الله من غير أن يتضمن حكما من الأحكام تشل حركة العقل الإنسانى فى تفكيره أو يعوقه من الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ثانيهما : ربط مختلف المعارف والفنون بالإيمان الصحيح والعقيدة الواضحة .

وثقافة هذا شأنها فى ربانية مصدرها الذى لا تنفد كلماته ولا تنقضى عجائبه ولا تنتهى معلوماته إنما يكون لها موضع الثقة الكاملة لاعتمادها على الوحى الالهى فهى ليست بشرية الطابع وإنما هى مستمدة من الأصول الكلية والقواعد الأساسية التى نطق بها القرآن الكريم .

ثانياً : الشمول :

تتميز الثقافة الإسلامية بأنها شاملة فى تصورها لجوانب الكون والإنسان والحياة شمولا ينتفى معه التناقض الذى أقامته التصورات الخاطئة المنحرفة فى الثقافات الأخرى، فالثقافة الإسلامية تأخذ من الإسلام شموله وسعته، لذلك فهى تعرض الحياة متصلة متناسقة محكومة بقانون

(١) أنظر : العقاد : الفلسفة القرآنية ص ٢٥ المجلد الرابع ط بيروت

واحد كبير ينتظم كل شيء إنطلاقا من رسالة الإسلام التى شملت آباد الزمن وانتظمت آفاق الأمم واستوعبت شئون الدنيا والآخرة[١] .

بخلاف الثقافات الأخرى التى لا ترى الحياة إلا من خلال جزئية واحدة بين جزئياتها : من خلال الجنس أو الصراع الطبقى أو من خلال التفسير المادى للتاريخ .

إن شمول الثقافة الإسلامية هيأ لها صمودا كبيرا أمام التحديات الفكرية التى يمارسها الأعداء ضد الإسلام فى كل حين . يقول العقاد : [إن شمول العقيدة الإسلامية فى ظواهرها الفردية والإجتماعية ميزة خاصة فى الثقافة الإسلامية توحى إلى الإنسان أنه كامل شامل فيستريح من خصام العقائد التى تقسم سريرته إلى قسمين حيث لا يقبل الإنسان لنفسه أن ينقسم إلى قسمين : بين الدنيا والآخرة أو بين الجسد والروح أو بين خصائصه الفردية ونزعاته الاجتماعية[٢] .

وهذا الانقسام خصام يصعب على النفس تحمله ، وهو يدفع بالإنسان إلى الحيرة والقلق والاضطراب كما هو حال الثقافات الأخرى .

فهذه الهوة التى تفصل الأنسان عن ذاته وتفصل الكون عن الله هى التى يملؤها الإسلام فى روح الإنسان ليجعل لوجوده هدفا ومعنى . بخلاف ما ورد فى النصرانية مثلا من أن الدين علاقة خاصة بين العبد وربه وليس

(١) راجع د/يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ص٩٩

(٢) أ العقاد / الإسلام فى القرن العشرين : ص٥٦ وما بعدها المجلد الرابع ط بيروت

له علاقة بشئون الحياة . مستدلين على ذلك بقول المسيح عليه السلام [أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله][١] .

ثالثاً : التوازن :

تتسم الثقافة الإسلامية بسمة التوازن ذلك لأنها تقوم على أسس عقدية متوازنة ، وعلى مناهج متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا مغالاة ولا تقصير .

وهـــذا التوازن واضح فى جوانبها المختلفة : المادية والروحية ، والعقلية والوجدانية ، والنظرية والعملية ، ولو اقتصرت هذه الثقافة على جانب من جوانب الحياة أو أشبعت جانبا من جوانب الطبيعة البشرية دون الجوانب الأخرى لما استطاعت أن تستجيب لطبيعة الإنسان ونزعاته الفطرية والغرائزية ولاختل التوازن الذى أراده القرآن ولو نظرنا إلى حقيقة الثقافة الإسلامية لوجدنا أن الدعوة إلى الإيمان مقترنة بالدعوة إلى العلم ، والدعوة إلى العبادة مقترنة بالدعوة إلى العمل ، والدعوة إلى الفكر والتأمل مقترنة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان والدعوة إلى الغاية مقترنة بالنظر إلى الوسيلة[٢] .

واتجاه الثقافة الإسلامية إلى تثبيت دعائم الوحدة بين المادة والروح هو أكثر موافقة لطبيعة الإسلام من الاتجاهين الأخرين وهما الاتجاه المثالى أو الروحى والاتجاه المادى ولا شك أن لهذا الاتجاه الموحد نتائج إيجابية فى مجالات النشاط الإنسانى .

(١) إنجيل لوقا : إصحاح ٢٠/فقرة ٢٠

(٢) راجع : محمد فاروق النبهان مبادىء الثقافة الإسلامية ص ١٥

ومن هنا كان التوازن من أهم السمات التى تنفرد بها الثقافة الإسلامية بين سائر الثقافات وهى وحدها التى تضع الإنسان فى المكان المناسب له حتى يتحقق له الراحة النفسية والاستقرار الوجدانى والسعادة القلبية.

رابعا : الثبات :

ومعنى ثباتها اعتمادها على حقائق لا تتبدل وأصول لا تتغير. ومبادى. لا تبلى ، وإن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية ، ثابت وغير قابل للتغيير .

ذلك لأنه القاعدة الأولى للثقافة الإسلامية ، هى الإيمان بالله وبصفاته الفاعله فى الكون والحياة والناس .

وهذه العقيدة ثابتة لا تتغير وكذا ما يتفرع عنها من أن العبودية لله وحده واجبة على الناس جميعا بما فيهم الرسل وليس لهم أى خاصية من خصائص الألوهية حقيقة ثابتة أيضا لا تتغير . كما أن الإيمان بسائر الغيبيات كالملائكة والكتب واليوم الآخر وما فيه ... إلخ حقيقة ثابتة وأن الدين عند الله الإسلام لا يقبل من أحد أن يؤمن بسواه حقيقة ثابتة، وإن غاية الوجود الإنسانى إفراد الله بالعبادة حقيقة ثابتة .

وإن الدنيا دار ابتلاء واختبار وأن الآخرة دار حساب وجزاء — حقيقة ثابتة — هذا وغيره من القواعد التى تتصل اتصالا مباشرا بالعقيدة الإسلامية حقائق ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة .

وبهذه القيم الخالدة انتصر الإسلام فى مجال العلم والحضارة وقضى على الهمجية والوحشية والجهل والاستبداد وهذه المعالم والحدود التى وضعتها الثقافة الإسلامية ليست ضوابط للكبت لكنها نداءات للخير حتى لا يكون

الإنسان متقلبا كالإمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت بل يكون مسلما حقا عاملا بقول الرسول ﷺ «وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم»(١) .

ومن هنا كانت الثمرة المترتبة على الأخذ بقيم هذه الثقافة ضبط حركة الإنسان ، وتقييد تصرفاته ضمن إطار محدد فلا يخرج عن جادة الطريق ولا يحيد عن معالم الأخلاق ولا يتخلى عن الموازين والقيم الإلهية — وإلا أصبح شاردا حائرا تائها بعيدا عن ملامح الهداية فتتشابه عليه الأمور ويتخبط هنا وهناك لاختلال الموازين وتغير المقاييس .

كما أن من ثمرة هذه الثقافة أيضا ضبط الفكر الإنسانى فلا يتأرجح مع الشهوات والأهواء والمؤثرات ولا يندفع وراء حب أو كره عارض ولا يتأثر من قول شخص قريب أو بعيد حبيب أو بغيض(٢) .

والثقافة الإسلامية بهذه السمة تختلف اختلافا كبيرا عن الثقافات الغربية التى تقوم على مبدأ التطور المطلق الذى يؤدى إلى فكرة وجود النقيض وكان من نتيجة هذه الثقافة أن جعلت البشرية تسير على غير هدى تتخبط فى تصوراتها وفى أنظمتها وأوضاعها وتقاليدها .

وكان من نتائجها أيضا أن قضت على المثل العليا والقيم السامية فى النفس الإنسانية ، من أجل تحقيق أكبر قدر من الربح للرابين وتجار الأهواء(٣) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر باب ما جاء فى حسن الخلق حـ ٤ ص ٣٦٤

(٢) راجع سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٨٣ — ٨٨

(٣) راجع سيد قطب المرجع السابق ص ٨٣ — ٨٨

كما كان من أبرز نتائجها أيضا تفلت الإنسان من كل قيمة ثابتة ومن كل مثل مرتبط بهدف ثابت ذلك لأنها تنادى بالانطلاق والتجديد فى كل شىء من غير ضوابط أو حدود[1] اتباعا للأهواء الجامحة وإشباعا للنزعات النفسية والرغبات العاتية. وهذه الثقافات الوضعية التى لا تقوم على الإيمان والتصديق والثبات إنما هى مجرد فكر وهمى تحكمى لا رصيد له من الواقع.

ويتضح من هذه الموازنه بين الثقافة الإسلامية المبنية على الثبات والثقافة الغربية المبنية على مبدأ التطور أن الثبات فى المبدأ والثبات فى القيم ضمن للمجتمع الإسلامى تماسكه وقوته على مدى سنوات عديدة رغم الضربات العنيفة التى وجهت إليه كالحروب الصليبيه وحملات المغول والتتار التى استهدفت القضاء على قوى المجتمع الإسلامى وإبادة المسلمين ورغم الدعايات الباطلة والشبهات السيئة التى تثار من حين لآخر لتشويه تعاليم الإسلام وأنظمته ومبادئه.

خامسا : الإيجابية :

من السمات الخاصة بالثقافة الإسلامية حيث ترتفع بالفرد عن حدود مطالبه ورغباته وأشواقه وأمانيه إلى أرحب مدى إنسانى من التعاون والحب والإيثار مع الآخرين.

إنها قضاء على سلبيات الإنسان وأمراضه الكامنه فى نفسه التى تعطله عن كل خير وعطاء وتدفعه لأن يكون عبئا لأخيه كما يجب نفسه.

(١) د/ هادية العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية نقلا عن الإسلام ومشكلات الحضارة ص ٢٤ بتصرف

والأساس الذى ترتكز عليه هذه الإيجابية هو تحرير الأفراد من عبوديتهم للشهوات أو الأطماع وتقبلهم للمغارم مهما كانت ثقيلة. لذلك نجد المؤمن من أمة محمد ﷺ يتمسك بمبادىء دينه، ويتمنى الموت فى سبيل الدفاع عن مبادئه مضحيا بروحه وحياته وماله وأهله دون أن ينتظر جزاء أو شكرا من أحد، وهو يحاول جاهدا أن يؤدى شكر نعمة الله عليه بالدعوة إلى الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو فى ذلك يأبى أن يحتجز الخير لنفسه أو لأسرته أو عشيرته أو بنى جنسه لأنه يوقن أن الأثرة تتنافى مع طابع عقيدته والسلبية تتناقض مع اتجاه رسالته، وهذه الروح التى تبثها هذه الثقافه فى كيان المؤمن ترتفع به عن حدود الذات فى مطالبها وأشواقها ورغباتها إلى أرفع مدى.

وبإيجاز شديد فكلمة إيجابية يقصد بها « الفعل والمبادرة » بمعنى أنها تعلم أصحابها العطاء وتلزمهم به فى كل أحوالهم فيكونوا فعالين مبادرين وليسوا سلبيين ولا تنحصر أعمالهم فى أن تكون مجرد فعل لمبادرات غيرهم وسبقهم للفعل فهى تعلم أصحابها أن يكونوا سباقين إلى فعل الخير والأمر به كما فى قوله تعالى : « فاستبقوا الخيرات »[1] كما عليهم أن يبادروا إلى فرض ما فى الإسلام من حق وقوة على غيرهم إنطلاقا من قول الله تبارك وتعالى « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »[2].

وقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[3].

(١) الآية رقم ١٤٨ من سورة البقرة
(٢) الآية رقم ١٥٨ من سورة يوسف
(٣) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران

وكما فى قوله سبحانه أيضاً : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[١] .

والإيجابية فى الثقافة الإسلامية بكل معانيها السامية لا يمكن أن توجد فى الثقافات الأخرى التى تقوم على سلبية الفرد وأنانيته وأثرته وحبه لنفسه ولو كان ذلك على حساب الآخرين أو جراحهم أو آلامهم وهـذا ما يكشف كذب الشعارات التى تدعى الإنسانية فى ظل تلك الثقافات إنها شعارات إغراق الفرد فى أحضان رغباته وشهواته وجنوحه دون قيود أوحدود[٢] . أما الإيجابية فى الثقافة الإسلامية فتشعر الفرد بأنه مكلف وأن عليه أن يبذل قصارى جهده بكل ما زوده الله به من المواهب والاستعدادات ذلك لأنه يحمل عبئاً ثقيلا وأمانة عظيمة ورسالة خالدة تحلو فى سبيلها التضحيات ويعذب من أجلها الجهاد فى سبيل الله .

سادساً : الواقعية :

تمتاز الثقافة الإسلامية بسمة فريدة تميزها عن سائر الثقافات هى الواقعية المثالية ومعناها الوضوح والصحة والصدق فلاغموض ولا لبس ولا مغالاة فيها ولا مجافاة للواقع ولا مداراة للحقيقة والثقافة الإسلامية (واقعية) لأنها تقوم على التصور العقدى للحقيقة الإلهية وعلى بيان آثار قدرة الله فى المخلوقات المشاهدة المرئية[٣] ، كما أنها تعرف الإنسان على حقيقة الكون وتدعوه للتعامل معه على النحو الذى يبنته العقيدة الإسلامية ، فالكون ماهو إلا هذا الوجود الخارجى الذى تدركه والذى يتكون من السموات والأرض والنجوم والكواكب والليل والنهار والنور والظلام والمطر والأحوال التى يتعرض لها هذا الكون .

(١) راجع صالح دياب هندى : دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٩
(٢) خصائص التصور الإسلامى ص ١٩٠ مرجع سابق .

والثقافة الإسلامية (واقعية) لأنها تقدم منهجاً واقعياً شاملا للحياة البشرية فوق الأرض إذ أن الأحكام المنهجية والمعالجات الواقعية التى استنبطت من كتاب الله وسنة رسوله تتعامل مع الإنسان ذى الوجود الواقعى وتتعامل مع الحياة الإنسانية على حقيقتها وواقعيتها .

هذا المنهج الواقعى قدأخذ فى اعتباره فطرة الإنسان وميوله ورغائبه ونزعاته وهو لا يقلل من قيمة الإنسان ولا يهدر من كرامته ولا يستهين بدوره فى الحياة أوفى عبادته لله تبارك وتعالى أوفى خضوعه له . وكذلك لايرفع من قيمته ومكانته ويجعله فى مرتبة أعلى من الإنسان بل هو مخلوق لله وقد خلق ليقر بوحدانية الله وليخلص له العبادة .

وهذا المنهج الواقعى قادر على أن يأخذ بيد الإنسان إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها وهى مرتبة العبودية لله تعالى التى من أجلها خلق الإنسان قال تعالى « وما خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون »[١] .

سابعاً : الوحدة :

من أهم السمات للثقافة الإسلامية ذلك لأن عقيدة التوحيد هى الدعامة الأولى للثقافة الإسلامية وهى تتلخص فى وحدانية الله الخالق للكون والواهب للحياة . وعنها نشأت وحدة الخلق أى الوحدة الحية بين المادة والروح ، ووحدة الإيمان والوحدة الإنسانية فلا تفرقة فى الألوان أوالأجناس أوالأقاليم قال تعالى ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا[٢] .

وكذلك الوحدة فى الفطرة الإنسانية وفى الغرائز والمنازع . فالإسلام لايعتبر كل جيل أمة يرأسها بل يعد الأجيال كلها رغم تباعد الزمان والمكان

(١) الآية رقم ٥٦ من سورة الذاريات .
(٢) الآية رقم ١ من سورة النساء .

أمة واحدة سواء فى معارضتها لرسالات السماء أو فى الاستجابة لها لأن النفس البشرية واحدة فى الماضى والحاضر .

قال تعالى «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون»[1] .

ومن هنا كانت مبادىء الإسلام تدعو إلى توفير المبادىء الإنسانية فى مجال العلاقات البشرية على الصعيد الفردى والجماعى والدولى وتحذر من عواقب التعصب الدينى أو القومى أو العرقى حتى تسمو بالعلاقات الإنسانية وتكون الأهداف النبيلة هى الغاية التى يتطلع إليها الإنسان ويسعى نحوها .

ولعل ما يصيب الإنسان من تمزق نفسى يشعره بأنه ليس شخصية واحدة تتجه إلى هدف واحد وأنه مشتت الأفكار كل واحد منها يتجه إلى هدف لا علاقة له بالآخر ، وبأنه أنفس عديدة لا نفس واحدة وبأنه بعيد عن مصيره غير متوحد معه .

هذا الشعور يؤدى بالضرورة إلى مجموعة من المشاعر والأفكار السلبية كالعبث والضياع وازدواج الشخصية[2] . وهذا يؤكد على ضرورة التمسك بالثقافة الإسلامية لخصائصها التى تنعكس آثارها على الأفراد والجماعات .

وبهذه الخصائص التى سبق عرضها تظهر قيمة الثقافة الإسلامية وتبرز مكانتها الرفيعة بين سائر الثقافات الأخرى تلك الثقافات التى تقلل من منزلة الفرد وتحط من قدره ولا ترفعه إلى المرتبة اللائقة به لأنها تعتبر الإنسان المكون من الجسم والروح غلطة منكرة .

كما تظهر جدية الثقافة الإسلامية فى قوتها وقدرتها على توجيه الإنسان الوجهة الخيرة كما أنها تعمل على تنمية الاستعدادات الفطرية والمواهب

(١) الآية رقم ٥٢ من سورة المؤمنون .
(٢) عماد الدين خليل فى النقد الإسلامى المعاصر ص ١٧٢ .

الإنسانية وتدعو إلى التعاون على التقوى وإلى التعاون لإنتاج كل ما من شأنه أن يسعد البشرية ويخدم الإنسانية .

وإذا كانت هذه هى بعض الخصائص والسمات المميزة للثقافة الإسلامية بما تقدمه للإنسانية من خير فمن أين تستقى الثقافة الإسلامية معارفها وما مصادر هذه الثقافة التى توجه الإنسانية إلى الخير والرشاد ؟

مصادر الثقافة الإسلامية :

تختلف الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات فى أنها تستمد من الوحى الإلهى فهى ليست بشرية الطابع ، وأيضاً كل ما يتصل بالوحى الإلهى كالتراث الفكرى الذى فسر القرآن والسنة واستنبط منهما ما تنضبط به حركة الحياة والواقع ، والتاريخ الذى يعبر عن الوقائع التى رسمت حياة الأمة حين التزمت كتابها وصارعت به الباطل والقيم الفاسدة فى حياة الناس ، واللغة هى الإطار والوعاء والظرف الذى احتوى كل هذه الأصول وسأتناول كل مصدر من هذه المصادر بشىء من التفصيل .

أولا : القرآن الكريم :

وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية فهو كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته المنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ المتحدى بأقصر سورة منه المنقول إلينا تواتراً ، الموجود بين دفتى المصحف المفتتح بسورة الحمد المختتم بسورة الناس .

وهو مصدر المصادر كلها وله من الخواص والتوجيهات والأحكام والإعجاز ما يؤكد أنه موحى به من عند الله تبارك وتعالى ففيه نبأ من قبلنا وخبر ما بيننا وحكم من بعدنا وهو حبل الله المتين ونوره المبين وصراطه المستقيم من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا به هدى إلى صراط مستقيم . وهو سجل الكون الإلهى ونظام الحياة فى كل جوانبها حيث اشتمل على كل ما هو صالح للحياة الإنسانية قال تعالى «ما فرطنا

فى الكتاب من شىء ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [٢] .

فى القرآن الكريم الأحكام العقدية مثل قوله تعالى فى بيان أركان الإيمان (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) [٣] وفيه الأحكام التعبدية مثل قوله تعالى فى بيان أركان الإسلام (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) [٤] وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) [٥] وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [٦] وقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) [٧] وفيه الأحكام التى تدعو إلى القيم الأخلاقية وتهذيب السلوك الإنسانى مثل قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) [٨] وقوله تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) [٩] وقوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) [١٠] .

(١) الآية رقم ٣٨ من سورة الأنعام .
(٢) الآية رقم ٨٩ من سورة النحل .
(٣) الآية رقم ٢٨٥ من سورة البقرة
(٤) الآية رقم ١٠٣ من سور النساء
(٥) الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل
(٦) الآية رقم ١٨٣ من سورة البقرة
(٧) الآية رقم ٩٧ من سورة آل عمران
(٨) الآية رقم ٥٨ من سورة النساء
(٩) الآية رقم ٣٤ من سورة الاسراء
(١٠) الآية رقم ١٨ ، ١٩ من سورة لقمان

وفى القرآن الكريم أيضا : أحكام المعاملات مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) [١] وقوله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) [٢] وفى القرآن الكريم أيضا أحكام الأسرة مثل قوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) [٣] وقوله تعالى (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان) [٤] وقوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعه) [٥] وقوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) [٦] وفى القرآن الكريم أحكام الحدود والجنايات مثل قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب) [٧] وقوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) [٨] وفى القرآن الكريم أيضا الأحكام الدستورية مثل قوله تعالى (وشاورهم فى الأمر) [٩] وقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) [١٠] وقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن

(١) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة
(٢) الآية رقم ٢٧٥ من سورة البقرة
(٣) الآية رقم ٣٣ من سورة النور
(٤) الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة
(٥) الآية رقم ٢٣٢ من سورة البقرة
(٦) الآية رقم ١٠ من سورة النساء
(٧) الاية رقم ١٧٩ من سورة البقرة
(٨) الاية رقم ٣٨ من سورة المائدة
(٩) الاية رقم ١٥٩ من سورة ال عمران
(١٠) « « ٣٨ « « الشورى

أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) [١] وفى القرآن الكريم أيضا أحكام العلاقات الدولية مثل قوله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين [٢] .

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم منهاج حياة ودستور جامع لنظم الدارين وأنزله الله لسعادة الإنسان فى الحياتين فهو الكتاب الذى يهدى لأفضل السبل وأقومها قال تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)[٣] وقد أمرنا الله بتدبره ، وتفهم معانيه لما يحتوى عليه من أحكام فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) [٤] وهو الكتاب الذى يتبوأ مكان الصدارة ومنزلة الأولية فى ميدان الأحكام والتشريعات والنظم بل فى كل ميدان من ميادين العلم والمعرفة والثقافة وهو كتاب حق وصدق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد تكفل الله بحفظه فى الصدور والسطور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقا لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [٥] .

ثانيا : السنة النبوية المطهرة : —

هى المصدر الثانى من مصادر الثقافة الإسلامية فليست بأقل أثرا من القرآن الكريم فى احتوائها على سائر ألوان الثقافة لأن صاحب السنة ﷺ هو المترجم لمعانى القرآن الكريم إلى عمل تطبيقى وسلوك واقعى .

(١) الاية رقم ١٣ من سورة الحجرات
(٢) الاية رقم ٨ من سورة الممتحنة
(٣) الاية رقم ٩ من الإسراء (٤) الآية رقم ٨٢ من النساء
(٥) الاية ٩ من سورة الحجر

وليس أدل على ذلك من هذا الكم الضخم من الأحاديث النبوية التى جمعها الرواة والحفظة المحققون للسنة الشريفة فى كتب الأحاديث التى ثبتت صحتها والتى تدل على عظم اهتمام السنة بالعلم والمعرفة وذلك مثل ترغيب النبى ﷺ فى طلب العلم وشد الرحال إليه والإشادة بالعلم والاعتراف بفضل العلماء والمتعلمين وتكريم العلماء والترغيب فى مجالستهم والتوقير لهم فقال ﷺ [تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكراته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة ... لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلمة . يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام][١] .

وفى حديث آخر بين عليه الصلاه والصلام مكانة طالب العلم وجزاءه وفضل العالم ومنزلته فيقول [من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر][٢] .

والسنة النبوية هى منهاج المسلم التفصيلى وبرنامج حياته مذ يبدأ نشاطه

(١) انظر الحافظ المنذرى الترغيب والترهيب حـ ١ ص٥٣، ٥٤
(٢) الحافظ المنذرى : المرجع السابق حـ ١ ص٥٣، ٥٤ وسنن ابن ماجه المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم وسنن أبى داود باب فضل العلم .

إلى منتهى يومه وهكذا إلى أن يلقى الله فما من نشاط مهما دق إلا ونظمته السنة وبينت كيفية التصرف وأسلوب العمل بالاستنباط للأحكام الشرعية كما هو الحال مع القرآن الكريم كما يرجع إليها المسلمون فى فهم المراد من آيات الكتاب العزيز. والسنة هى الصورة العملية التى بها طبق الرسول ﷺ وأصحابه أوامر الله وأحكامه وفق ما تبين لهم من دلالة القرآن ومقاصده، وللسنة المطهرة منزلة بالغة الأهمية بعد القرآن الكريم والاعتماد عليها أمر بالغ الأهمية فى بناء الثقافة الإسلامية وإيجاد المسلم المثقف قال ﷺ [تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه][1].

وتأخذ السنة هذه المكانة نظرا لما تقوم به من كشف وتوضيح وتفسير وتفصيل لما جاء فى القرآن من معان ومقاصد مثل بيانها للصلاة من حيث مواقيتها وكيفيتها وبيانها للزكاة فى مقاديرها وأنصبتها وبيانها لأحكام الصلاة والحج والبيوع والقصاص والدخول والخروج واللبس والأكل والشرب والنوم وغير ذلك من كل مايهم المسلم.

وقد بين الله تبارك وتعالى مهمة السنة المنوطة بالرسول ﷺ فى توضيح آيات القرآن فيقول [وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم][2] ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى بقوله [ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه][3].

وهذا يؤكد كون السنة النبوية مصدرا أساسيا للثقافة الإسلامية فهى مصدر تشريعى يغذى ثقافة المسلمين بالأحكام المستنبطة فى ضوء قول الرسول ﷺ أو فعله أو تقريره أو سكوته.

(١) الحافظ المنذرى المرجع السابق حـ١ صـ٦٠

(٢) الآية رقم ٤٥ من سورة النحل.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه حـ ٤ صـ ٣٢٨

ثالثا : السيرة النبوية :

من مصادر الثقافة الإسلامية فهى حافلة بما كان فى حياة الرسول ﷺ وأصحابه، وصورة مشرقة تسجل حياة الرسول ﷺ.

وقد وصلت الينا بأصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتا مما لايدع مجالا للشك فى وقائعها البارزة وأحداثها العظيمة. وحياة الرسول ﷺ ناطقة بجلائل الأعمال فى جميع مراحلها منذ اختيار أبيه عبد الله لأمه آمنة وزواجه بها حتى وفاته ﷺ وفى كل مرحلة من مراحل حياته من هدى خير البرية مايأخذ بيد الحيارى إلى الأخذ بمنهجه والإهتداء بهديه اقتداء به وتأسيا بكل ما كان فى حياته من جوانب العظمة الخلقية والتربوية والنفسية فى كل نواحى الحياة.

وسيرته ﷺ شاملة لكل نواحى الحياة الإنسانية فهى تحكى لنا سيرته العطرة فى طفولته وفى صباه وفى شبابه قبل إكرام الله له بالرسالة وتحكى لنا سيرته كداعية إلى الله يبذل أقصى جهده وطاقته فى تبليغ الإسلام بثقة كاملة ويقين مطلق واخلاص نادر كما تحكى لنا سيرته كقائد شجاع ورئيس لدولة ناشئة يضع لها أقوم النظم وأصح المبادىء التى تعجز الدول فى العصر الحديث عن صياغتها وتأسيسها كما تحكى لنا سيرة الرسول ﷺ زوجا وأبا وصديقا فى حنوه ورحمته وحسن معاملته وتنطق بخصال الخير والصلاح التى عرف بها كمربى ومرشد ومحارب شجاع ونبى فاتح منتصر وسياسى ناجح، وإدارى حكيم، وجار أمين فسيرته بكل جوانبها هى قدوة صالحة للناس فى حياتهم.

قال تعالى: [لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا][1].

(١) الآية رقم ٢١ من سورة الأحزاب.

والسيرة النبوية الشريفة بما لها من خصائص وما فيها من أحداث وذكريات ومواقف جديرة بأن تكون نبعا فياضا تنهل منه الثقافة الإسلامية ومددا تاريخيا لها .

رابعا : الفقه الإسلامى :

وهو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من مصادر الإسلام التشريعية.

والفقه من أجل المعارف الإسلامية وأعظمها تأثيرا فى المجتمع لأن غايته استخراج الأحكام الشرعية للمسائل التى لم يرد فيها نص حتى يكون المسلمون على بينة من حكم الإسلام فى كل مايعترضهم فى حياتهم من مشكلات وما يطرأ عليهم من قضايا وأحداث . وهو بلا شك يوجه سلوك الناس وحياتهم فى ضوء مايرضى الله فيتبعون الحلال ويبتعدون عن الحرام والفقه الإسلامى بما يتصف به من مرونة وقدرة على استخراج الأحكام أتاح للثقافة الإسلامية أن تظل حية متجددة وأبعد عنها الجمود والتوقف عن العمل لمواجهة متطلبات الحياة المستمرة والمتجددة .

وبذلك استطاعت الثقافة الإسلامية أن تحقق مصالح العباد وترفع الحرج عنهم من خلال تعريفها بما لهم من واجبات وما عليهم من حقوق فى ضوء ما أمر به الله وما نهى عنه، لأن الغاية من الأحكام الشرعية تحقيق مصالح العباد والعدل بينهم ، ومن هنا تبرز حاجة المجتمعات الإسلامية الملحة إلى فقهاء مجتهدين مجددين ليقدموا الحلول الإسلامية فى كل القضايا المطروحة فى العصر الحاضر وهذا ليس بالأمر العسير إذا خلصت النوايا وصحت العزائم .

خامسا : اللغة العربية :

من الروافد الأساسية والأصيلة للثقافة الإسلامية فهى ليست مجرد أداة أو وعاء فكر وحضارة فقط بل قد تلاحمت بالفكرة تلاحما لاينفك عنها فبها نزل القرآن الكريم قال تعالى : [إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون](١) وقال تعالى : [كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون](٢) وقال تعالى : [إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون](٣).

وللقرآن الكريم فضل عظيم على اللغة العربية لا يشك فى حقيقته إلا مكابر أو معاند فهو الذى حفظها من الضياع لأنه جاء على وجه معجز تحدى به العرب فذلوا واستكانوا فحرص كل مسلم على ألفاظه احتفاظا بالمعجزة وتعبدا بتلاوته ولو أنه جاء كغيره مجردا عن الإعجاز لما كان حتما على الناس أن يلزموا أنفسهم بتعهد لغته والتعرف إليها بل كانوا يأخذون ما فيه مما يحتاجون بعد أن ينقلوه إلى لغاتهم فتضطر العربية أن تقف وحدها فى معترك الحياة فلا تزال تتطلع إلى التجديد وربما تمشى إلى الموت وقد يدب إليها الفناء حتى تصبح فى ذمة التاريخ(٤) .

من هنا كانت الصلة بين الثقافة الإسلامية واللغة العربية وثيقة جدا ومتميزة فالعربية هى لسان الإسلام والقالب الذى تجسدت فيه معجزة القرآن مما جعل تعلمها فرضا على المسلمين .

وقد بين الرسول ﷺ أحاديثه بها لأنه نبى عربى قال تعالى [وما أرسلنا

(١) الآية رقم ٢ من سورة يوسف .
(٢) الآية رقم ٣ من سورة فصلت .
(٣) الآية رقم ٣ من سورة الزخرف .
(٤) انظر الباقورى : أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ص ٣٤، ٣٥

من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم][1] والعربية لسان العرب وبها كانت صياغة العلوم الإسلامية والفكر الإسلامى وقد ظلت اللغة مقوما من مقومات حفظ وحدة الأمة إذ هى وسيلة التفاهم والإلتقاء الفكرى والنفسى كما أنها أغنى لغات العالم بالمفردات كما أن قابليتها للنمو والتوليد واستيعاب الجديد لا تضارع ولا تبارى [2] .

وأثر اللغة العربية فى الثقافة الإسلامية واضح جلى فقد أدرك المسلمون الأوائل أن فهم الأمم المختلفة للدين الإسلامى لا يتم إلا من خلال اللغة العربية فتعلموها لأسباب مختلفة بعضها دينى وبعضها دنيوى ... واصبح من الممكن أن يتفاهم العرب وغيرهم بلغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة لا يستعصى على أحد فهمها فلا يعدل أحد عن طريقها [3] .

وبذلك دخل الدين إلى القلوب والعربية إلى الألسنة فى آن واحد .

وبهذا يتضح أن اللغة العربية منبع لا غنى عنه للثقافة الإسلامية فهى أداة نشرها ووعاء جامع للشعوب التى اعتنقت الإسلام بالإضافة إلى أنها مظهر من مظاهر وحدة الأمة فى نطقها بلسان واحد رغم تباين أجناسها .

سادسا : التاريخ الإسلامى :

وهو مصدر مهم للثقافة وتكوين الشخصية ولذلك تحرص الأمم على تاريخها فتنشىء له الدراسات والمعاهد والكليات وتهتم بالآثار ترمم مايحتاج

(١) الآية رقم ٤ من سورة ابراهيم
(٢) انظر : د / أحمد نوفل : فى الثقافة الإسلامية ص ٢٤
(٣) انظر : أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ص ٤١، ٤٢ — مرجع سابق .

منها إلى ترميم وتبرز معالم ما اندرس منها بفعل الزمن للإيمان العميق أن وجود الأمم فى الحاضر امتداد لوجودها فى الماضى ، وأن من لا ماضى له لا حاضر له ولا مستقبل له ولولا هـذه الأهمية للتاريخ لما توسع القرآن الكريم فى عرضه للوقائع التاريخية والقصص فى ثناياه ، وقد بلغ القصص القرآنى ما يقرب من ثلث القرآن الكريم وما تخلو سورة من لفت الأنظار إلى الإتعاظ بمن سبق وأخذ العبرة من التاريخ .

والتاريخ الإسلامى يشمل كل ما ورثناه عن الأسلاف من علوم ومعارف وأفكار واجتهادات فى شتى المجالات المختلفة فى كل عصر من عصور التاريخ ابتداءا من عصر الرسول ﷺ وإلى اليوم وإلى ما شاء الله ، ولكل عصر من العصور منجزات ومواقف فكرية وعملية أسهمت فى صنع التاريخ الإسلامى المجيد لأنه واحد من الجوانب التطبيقية والصورة العملية للإسلام فالاهتمام بدراسته دراسة للإسلام من هذه الناحية التطبيقية كما أنه دراسة كشفية لمن أخلصوا له ومن أساءوا له أو باسمه من خارجه ومن داخله والتاريخ الإسلامى ليس مجرد تاريخ فكر وأحداث وظواهر اجتماعية وأوضاع سياسية فحسب ولكنه كل ما أنتجه الإسلام ووجه إليه المجتمع من الأنشطة الحيوية والفكرية والعملية فى داخل المجتمع الإسلامى أو مع غيره من المجتمعات فى حالات السلم والحرب ومعنى هذا أن التاريخ الإسلامى هو قبل كل شىء تاريخ عقيدة شاملة لها خصائصها ومقوماتها المميزة[1] .

وهذا يؤكد أن التاريخ الإسلامى منبع أساسى لثقافة المسلمين من وجوه متعددة ذلك لأنه أكسبها بعدا زمنيا ميزها عن غيرها من الثقافات ومنحها سمة الأصالة والانتماء وبدونه تصبح هذه الثقافة لاهوية لها فليس

(١) راجع د / أحمد نوفل فى الثقافة الإسلامية ص ٢٥ ، ٢٧ ، صالح دياب هندى دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٣ ، ٢٤

لها من ماضيها ما يربط حاضرها ويرسم مستقبلها بالإضافة إلى أنه يغذى الروح الإسلامية ويقوى معانيها فى نفوس الأجيال .

وبعد فهذه هى أهم المصادر التى تستمد منها الثقافة الإسلامية مبادئها الفكرية ، وثقافتها الواسعة بما لها من خصائص ومميزات ، وهذه المصادر جديرة بأن تمد كل مسلم مجد فى التزود بهذه الثقافة بزاد فكرى وحضارى يكون له أثره الفعال فى النهوض بالأمة والرجوع بها إلى سابق عهدها من التقدم والازدهار كما يكون له أكبر الأثر فى التصدى والمجابهة للتحديات المختلفة التى تواجه بها الثقافة الإسلامية التى تهدف إلى القضاء على الإسلام وتمزيق شمل المسلمين وعزلهم عن دينهم وتراثهم تمهيدا لاستعمار البلاد الإسلامية فتخضع لهم شعوبها ويستنزفون مواردها ويسيطرون على فكر الأمة وعقول شبابها بالغزو الفكرى والثقافى وفق مفاهيم عصرية يتوجهون بها إلى الناس فى صور متنوعة وأشكال مختلفة يتحدون بها فكر الأمة للنيل من ثقافتها وتغيير هويتها .

التحديات الفكرية للثقافة الإسلامية :

يقصد بالتحديات الفكرية المعاصرة المؤامرات والمخططات المعادية التى يمارسها أعداء الإسلام ضد الثقافة الإسلامية وإن نفدت هذه التحديات أسلوب المواجهة العسكرية المسلحة إلا أنها فى الحقيقة أكثر خطرا وأنفع للغزاة لأنها تحقق أهدافهم وفق مطامعهم ورغباتهم ويستمر أثرها قائما فى العقول والقلوب التى انخدعت بأفكارهم وآرائهم من أهل البلاد المغزوة فيكونوا عملاء لهم يعملون فى وضح النهار على تحقيق آمالهم والوصول إلى أطماعهم وهذه هى بعض التحديات .

أولا التبشير :—

من أهم التحديات التى تواجه الثقافة الإسلامية بهدف التأثير فى عقول المسلمين وإضعاف الروح الاسلامية فى نفوسهم وفقا لما يهدف إليه أعداء الإسلام الذين أدركوا بعد ارتداد الحروب الصليبية منهزمة أمام قوة المسلمين أن استخدام السلاح والمواجهة العسكرية لا تجدى شيئا بل إنها تكون فى كثير من الأحيان باعثا على وحدة المسلمين وإظهار قوتهم المادية والمعنوية ، وهذا ما صرح به [ملخص تاريخ التبشير][1] ويستهدف التبشير تحقيق أمرين :

١ — إنشاء جيل من المسلمين يحمل أفكار الغربيين وثقافتهم حتى يسهل الاتصال به والتفاهم معه ، وبالتالى السيطرة على البلاد الإسلامية واستعمارها .

٢ — العمل على خلو الأجيال من الدين والثقافة الإسلامية والحمية الدينية .

وقد أكدت هذه الأهداف اعتراف المبشرين أنفسهم مما بين حقيقة التناسق بين المخططين الثقافى والعسكرى [ففى عام ١٩٢٤ ظفر [رامون لل] بمقابلة البابا [سلستين الخامس] وقدم له كتابين فيهما خطة للتبشير بين المسلمين ، وكانت خطة [رامون لل] ذات شقين :

أولها : أن يتخذ العلم والمدارس وسيلة للتبشير .

وثانيهما : أن ينصر المسلمين بالقوة إذا لم تنفع فيهم الجهود السلمية][2] و[ريمون لل] هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت

(١) معروف تحت عنوان الغارة على العالم الإسلامى ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٢) عمر فروخ ومصطفى الخالدى التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٥١، ٥٢

الحروب الصليبية فى مهمتها فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيره[١] .

وفى نفس هذا المعنى يقول [صموئيل زويمر] فى أحد المؤتمرات التبشيرية [ليس الهدف الحقيق للتبشير هو إدخال المسلمين فى النصرانية وإنما الهدف هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم وفى ذلك قد نجحنا نجاحا باهرا عن طريق مدارسنا الخاصة وعن طريق المدارس الحكومية التى تتبع مناهجنا][٢] .

ويقول الطبيب [بول هاريسون] فى كتابه [الطبيب فى بلاد العرب] لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى[٣] .

ويقول [بلفور] وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد المشئوم . إن المبشرين فى نظر الإستعمار هم عيونه التى تقوم بإطلاع الدول الغربية بالنواحى التى تهتم بمعرفتها عن عقائد المسلمين وآدابهم والثقافات التى يتأثرون بها[٤]

كما أن خطر القرآن على أعداء الله أنطق نواياهم الخبيثة ضده يقول [غلا دستون] رئيس وزراء بريطانيا : [مادام هذا القرآن موجودا فلن

(١) ال شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ص٣١ ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٢) محمد قطب : معركة التقاليد ص١٨١

(٣) د على جريشة وشريكة : أساليب الغزو الفكرى ص ٣٢ هامش نقلا عن ابراهيم خليل أحمد المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى مكتبة الوعى العربى بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ

(٤) أنور الجندى : الإسلام والدعوات الهدامة ص٢٥٠

تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون نفسها فى أمان][١] .

وبهذه البراهين يتضح خطر التبشير الأكيد على الإسلام والمسلمين لأنه يستتر تحت أساليب خادعة وتبدو على رجاله البراءة . كبراءة الحمل الوديع ولكنهم ذئاب ضارية وهذا [تشارلز واطسون] يؤكد على ذلك فى نصحه للمبشرين فيقول : [يجب أن يظلوا براء كالحمام ولكن لا يمنعهم أن يكونوا حكماء كالحيات][٢] وهذه أساليبهم فى التبشير بمادئهم : —

أساليب التبشير[٣] .

لقد استخدم المبشرون كل فكرة براقة يمكن أن تجذب طوائف الشعوب المختلفة فاستغلوا الخدمات الإجتماعية لمصالحهم الخاصة فأنشأوا الأندية الثقافية والترفيهية ، وجمعيات للشباب والشابات وأنشأ واجمعيات لإصلاح الأحداث ونادوا بإنصاف العمال لجذبهم إليهم وقاموا بإنشاء جمعيات للرفق بالحيوان للتأثير فى قلوب السذج من الناس الذين لا يابثون أن يصطدموا بالواقع حينما يجدون ظلمهم للإنسان واستغلالهم للصالح من الأعمال فى سبيل تحقيق أغراضهم ومطامعهم وهذه بعض أساليبهم التبشيرية بإيجاز .

١ — إنشاء مدارس تبشيرية فى مختلف مجالات التعليم [حضانة — ابتدائى — إعدادى — ثانوى] إضافة إلى جامعات يسوعية وأخرى

(١) محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق ص٤١

(٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٥١ ، ٥٢ مرجع سابق

(٣) راجع : الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٠ وما بعدها وأساليب الغزو الفكرى ص ٣٢ مرجع سابق

أمريكية وقد انتشرت هذه المدارس والجامعات فى مختلف الأرجاء فى العالم الإسلامى وهى بهذا الانتشار والتوسع تغزو كافة الفئات وتتصل بمعظم طبقات المجتمع .

وقد قامت هذه المؤسسات التعليمية بدورها خير قيام خدمة لأغراض الاستعمار التى أهمها بث روح الولاء للغرب . وابعاد الجيل المسلم شيئا فشيئاً عن هويته الإسلامية وتاريخه الإسلامى المشرق وعن ثقافته الدينية التى تحدد للفرد مقومات كيانه الحضارى المتميز .

٢ — فتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية إلى الشرق الإسلامى وهذا من أخطر الأساليب فالغاية شريفة ظاهرا ولكنها خبيثة فى باطنها ذلك لأن المرض حالة من حالات الضعف البشرى ويتبع هذا الضعف قصور فى الإدراك فيستطيع الطبيب أو الممرض بما يقدمه للمريض من خدمات طبية تعمل على راحته وإرضائه أن يصل إلى هدفه الأساسى من غير أدنى جهد أو مشقة .

٣ — ومن أساليب التبشير نشر العلمانية والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة وهذا يؤدى إلى بذر التشكيك فى نفوس المسلمين مما يؤدى إلى اضطراب فى العقيدة يتبعه إضطراب فى القيم والمفاهيم الإنسانيـــة لدى المسلم فتتنازعه التيارات المضادة فتضيع ملامح شخصيته وتنهار ذاتيته الإسلامية أو ينحرف فى سلوكه وأخلاقه ويخلع عنه صبغة الإسلام وبهذا يتحقق للتبشير غرضه الخطير .

٤ — كما أن من أساليب التبشير المنح الدراسيـــة والبعثات إلى الدول المسيحية الغربية وأول مثل لأثر البعثات ما حدث لرفاعة الطهطاوى وقد أرسل إلى باريس عام ١٨٢٦ — ١٨٣١ م فعاد وقد سلخ جلده وتغير فكره فاختلت موازينه وصور الفسق والفجور بأنه نوع من الأناقة والفتوة وانسلخ عن كل ما هو إسلامى .

٥ — المؤتمرات التبشيرية المتعددة كمؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ ، ومؤتمر أدنبرج فى إنجلترا سنة ١٩١٠ م ومؤتمرات القدس الثلاثة وكان آخرها سنة ١٩٦١ ، وأسفرت هذه المؤتمرات عن التوصيات التالية :

(ا) وجوب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداء لهم .

(ب) وجوب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

(حـ) تبشير المبشرين بعدم القنوط إذ من المحقق أن المسلمين قد نمافى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى تحرير النساء .

٦ — استخدام الإعلام مقروءا أو مسموعا أو مرئيا للوصول إلى أهدافه فكان التبشير يعمل من وراء الحركات الصحفية. وفى لبنان ومصر على سبيل المثال جرائد مخصصة لصالح التبشير وقد استغل المبشرون الحركات الكشفية للتأثير على الصغار كما شجعوا على الزواج من غير المسلمات لإيجاد جيل تابع لهم ولاء وحبا وثقافة. وفى العصر الحديث استغلوا الفن والسينما والفلسفة كوسائل جديدة يدخلون بها إلى قلوب المسلمين ويؤثرون بها على نفوسهم .

٧ — كما استخدم التبشير نشر الفساد والانحلال الخلقى وتحطيم القيم الأخلاقية فعمل المبشرون على إنشاء حانات الخمر فى كثير من المدن الإسلامية وشجعوا على تهريب المخدرات وغيرها مما يفسد الشباب ويدمر طاقات الأمة .

وبالرغم من استخدام المبشرين لكل هذه الوسائل التى يتسترون من خلالها خلف جميع أعمال البر والإحسان إلا أنهم فشلوا فى تحويل المسلمين

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى مرجع سابق حـ ٢٤ — ٣٢

عن دينهم إلى حيث يريدون بما دفعهم إلى الاعتراف بأنه لا يستجيب أحد من المسلمين للتبشير إلا واحد من إثنين — طفل مخطوف من أهله وهو صغير فيربى على النصرانية وهو جاهل بأصل عقيدته . أو رجل معدوم لا يجد سبيلا للعيش إلا بالدخول إلى النصرانية ليحصل على لقمة العيش ويظل مشكوكا فيه إنه غير عقيدته[1] .

فلا يمكن لمسلم اختلطت عقيدته بلحمه ودمه وضميره أن يسهل عليه فراق دينه مهما كانت الدوافع والمغريات .

ثانيا : الاستشراق :

ونعنى به الدراسات التى يقوم بها فريق من الباحثين لدراسة ما يتعلق بالشرق عموما وبالشرق الإسلامى بصفة خاصة من تراث وثقافة وكذلك ما يتصل بواقع المجتمعات المسلمة وأحوالها .

وهو لون من ألوان الغزو الثقافى وهو وليد التبشير وإن لبس هيأة البحث والعلم كما يلبس التبشير هيأة الرحمة ، وتظاهر بالعطف على الناس وادعى الإنقاذ ونشر المعرفة .

وقد اختلف الباحثون فى تاريخ بدء الاستشراق وإن كان الأرجح أنه بدأ مع الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسى والدينى بين الإسلام والنصرانية . وبعضهم يرى أنه بدأ منذ الحروب الدموية بين المسلمين والنصارى فى الأندلس والبعض الآخر يرى أنه بدأ مع الاستعمار الأوربى لبعض البلدان العربية والإسلامية فى الشرق الأدنى وشمال

(١) محمد عوده الخطيب لمحات فى الثقافه الإسلامية ص ١٧٢ ، ١٧٣

إفريقيا وجنوب شرق آسيا وذلك لتحطيم عامل القوة فى المسلمين وسهولة السيطرة عليهم[1] .

وينقسم المستشرقون من حيث موقفهم من الثقافة الإسلامية إلى ما يأتى : —

١ — طائفة مهتدية درست الإسلام دراسة دقيقة مستوعبة فهداها الله إلى الإسلام وشرح صدرها للدخول تحت لوائه فأسلمت ، وهؤلاء دخل الإسلام منهم عدد غير قليل ومنهم الأستاذ [محمد أسد] ومن مؤلفاته [الإسلام على مفترق الطرق] و [ومنهاج الحكم فى الإسلام] و [الطريق إلى مكة] ومنهم أيضا : [مريم جميلة] التى أحسنت فى كتاباتها عن الإسلام ومن مؤلفاتها [الإسلام بين النظرية والتطبيق] .

٢ — طائفة منصفة اكتفت بعرض حقائق الإسلام عرضا موضوعيا دون تغيير أو تحريف أو زيادة أو نقصان ولكنها لم تنتفع بما درست واستمرت على حالتها دون الدخول فى الإسلام .

٣ — طائفة مغرضة : دارت فى فلك التنصير والاستعمار وعرفت الحق فحرفته وشوهته[2] وهذه هى الطائفة الخبيثة التى تمثل التحدى الكامل للثقافة الإسلامية لما أحدثته من إثارة حول مختلف القضايا الإسلامية وعملا على تحقيق أهداف الاستشراق .

(١) انظر : د/عبد الستار سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٥٨ ، د/ محمد رأفت سعيد : الإسلام فى مواجهة التحديات ص ٤٩ ، ٥٠

(٢) راجع : الإسلام فى مواجهة التحديات مرجع سابق ص ٥٤

أهداف الإستشراق :

إن أهم أهداف الإستشراق هو (إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر)[1] بدافع الحقد الدفين والتعصب الممقوت واتبع المستشرقون لبلوغ آمالهم وسائل عدة منها تأليف الكتب ونشرها والمحاضرات والمؤتمرات حيث يعملون من خلالها على تشويه روح الإسلام وإثارة الشبهات حوله وقد ركزوا فى دراساتهم الإستشراقية على الأمور الآتية :

١ — انكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً من عند الله وإنما هو من عند محمد .

٢ — التشكيك بصحة رسالة محمد ﷺ ومصدرها الإلهى .

٣ — انكارهم كون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية .

٤ — التشكيك فى صحة الحديث النبوى وقيمة الفقة الإسلامى .

٥ — التشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمى .

٦ — تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى بدعوى أن حضارتهم منقولة عن حضارة الرومان والعمل على إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم .

---

(١) عبد الكريم عثمان . معالم الثقافة الإسلامية ص ٩٩

٧ — العمل على نشر العلمانية فى المجتمعات الإسلامية واستخدام المرأة استخداماً سيئاً[1] .

والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين فى عقائدهم ويفتحون السبيل أمام دعاة النصرانية للطعن فى الإسلام ونبيه ﷺ تحت أسماء براقة كالبحث العلمى والإستنتاج التحليلى .

وإن من أخطر الأشياء على الفكر الإسلامى اعتبار كتب المستشرقين مراجع علمية أساسية فى التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد ...الخ .

وخاصة فى الجامعات أو فى دراسة المبعوثين إلى الجامعات الغربية الذين يقعون دائماً تحت سيطرة الإستشراق والأساتذة المتعصبين من اليهود والنصارى ثم يعودون إلى بلادهم متأثرين بما درسوه فيفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث .

وقد عمل المستشرقون على نشر الموسوعات والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين وملؤوها بالسموم والشبهات مثل : (دائرة المعارف الإسلامية) و (والمنجد فى اللغة والعلوم والآداب) و (الموسوعة العربية الميسرة) .

ولهذا يجب على كل من يستعين بهذه المصادر أن يكون حذراً وأن يتنبه إلى ما بين سطورها من مغالطات أو كيد أو زيف أو ضلال مما يدل على حقدهم للإسلام وهذا لا يخفى على كل لبيب حصيف .

---

(١) راجع : د/ أحمد نوفل فى الثقافة الإسلامية ص ٥٤ وأساليب الغزو الفكرى ص ٢٢

ثالثاً : الشيوعية :

إن من أخطر ما يواجه الثقافة الإسلامية فى العصر الحاضر دعوة هدامة فاسدة تسمى (الشيوعية) لما ترمى إليه من محاربة القيم الأخلاقية الكريمة والمبادىء الفاضلة والمثل العليا ولما تهدف إليه من القضاء على الروابط الأسرية والتماسك الإجتماعى وتحطيم الحضارات العريقة والثقافات الأصيلة . وهى أكثر الإتجاهات الإلحادية شيوعا وبلغ من قوتها أن كونت لها دولة تدعو إلى الإلحاد بأجهزة إعلامها صراحة وتدرسه لأبنائها فى مؤسساتها التعليمية وتدعو شعوب العالم كلها إليه .

وتنسب إلى (كارل ماركس) ألمانى من أصل يهودى وإن أعتنقت أسرته المسيحية مؤخراً وفيها تجمعت كل شبهات الإلحاد ، وانعكست فيها نقائص الفكر والسلوك اليهودى والمسيحى ففيها القول بالمادة والتطور . وفيها حلول موهومة لضغوط الإقتصاد والسيطرة الكنسية فهى مذهب فلسفى مأخوذ من مادية فيورباخ وتطورية داروين ، وجدلية هيجل وفلسفته التاريخية[١] — [٢].

وبهذا الفكر المريض هاجمت الشيوعية المسلمين فى ديارهم بأسلوب شرس دموى عنيف يحمل فى طياته مكر اليهود وخبثهم وحقدهم ولؤمهم

(١) عن أسسها ومبادئها وتطبيقها وصلتها باليهودية ونقد المفكرين لها كتب فيه الكثير من المقالات فليرجع إليها من شاء ولست فى مجال التعرض لمثل ذلك .

(٢) راجع : د/على جريشة : أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ص ١١٠ ، ١١١ دار الإعتصام .

كما يحمل بقايا خربة عفنة من الوثنيات الضالة التى كادت البشرية أن تتخلص منها .

وكانت الشيوعية فى محاولاتها للدخول إلى البلاد الإسلامية تتخذ أساليب المكر والخداع وتخفى أهدافها الرهيبة ورغباتها الهدامة فكانت تعتصم بجدار (الاشتراكية) أو كلمة (اليسار) لفتح باب الحوار مع الدين وكان من أخطر مؤامراتهم العمل على تزييف الإسلام وتشويه روحه والنيل من تاريخه وذلك لوضعه فى وضع ملائم للتزاوج أو الالتقاء بينه وبين الماركسية، وهى دعوى فاسدة سرعان ما تبين زيفها وثبت بطلانها فالماركسية المادية والدين بعامة والإسلام خاصة لا يمكن أن يمتزجا ولا أن يتلاقيا بحال من الأحوال ، وهذا ما حدث من المشركين مع رسول الله ﷺ حيث ساوموه على أن يقترب من أفكارهم وتمنوا أن يجاريهم فى معتقداتهم ليتابعهم فى شىء مما هم عليه فيتابعونه فى دينه حفظاً لماء وجوههم أمام جماهير العرب ولكن الرسول ﷺ كان حاسما مع موقفه من دعوته ودينه[١] .

وكان الأمر القاطع (فلا تطع المكذبين)[٢] فلا يمكن أن يلتقى الإسلام والجاهلية فى منتصف الطريق ولكن كما قال تبارك وتعالى : (لكم دينكم ولى دين)[٣] .

إن الجاهلية فى أى زمن هى الجاهلية ، والإسلام كدين من عند الله هو الإسلام لا يتبدل ولا يتغير فالفارق بينهما بعيد والسبيل هو الخروج من الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته، إنه الإنسلاخ التام من الجاهلية بكل ما فيها . إلى الإسلام بكل مافيه وهو إنسلاخ لا يسمح بالالتقاء فى

(١) راجع : سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ ٢٩ صـ ٢٢٥

(٢) الآية رقم ١٠ من سورة القلم .

(٣) الآية رقم ٦ من سورة الكافرون .

منتصف الطريق فكيف يلتقى اللون الأبيض مع الأسود فى منتصف الطريق؟ كذلك كيف يلتقى الحق والباطل فى منتصف الطريق؟ فإن الحق لا يستقيم أمره إلا إذ تمت المفاصلة بينه وبين الباطل جميعاً، هى البراءة الكاملة والمفاصلة التامة والحسم الصريح لكم دينكم ولى دين ولما فشلت الشيوعية فى الوصول إلى أطماعها تحت ستار الخداع والمكر والدهاء عمدت إلى كشف هذا الستار وحاولت دفع المجتمع الإسلامى إلى امتهان الكرامة الإنسانية والقيم الأخلاقية بالدعوة إلى الإلحاد ومعارضتها للدين والأخلاق وإشعال نيران الصراع بين الطبقات وتحريض الفقراء على الأغنياء والجهلاء على المنتفعين بالتعليم حتى يتحول الحقد إلى ثورة تقضى على الأخضر واليابس وكان هدف الشيوعية فى البلاد الإسلامية العمل على تنفيذ خطة خطيرة فى مواجهة الإسلام بوصفه العدو الأول الذى يحول دون تقدمها واشتملت هذه الخطة على الأمور الآتية :

أولا : تشويه العقيدة الإسلامية وتقديمها لجمهور المثقفين فى صورة منتقصة أو موصوفة بالتخلف لا تتناسب مع التقدمية والطموح والتطور العلمى الذى أصبح سمة العصر .

ثانيا : القضاء على كل مبادرة للتمسك باللغة العربية وبذر بذور اليأس فى نفوس المتشبثين بها واعتبار المطالبة بالتعريب موقفا غير عملى ونابع من عاطفة التعلق بالتراث والتزمت والإنغلاق عن العصر وإعلاء شأن اللهجات المحلية والتراث السابق للإسلام

ثالثا : المطالبة بأن تمتد التربية الإلحادية والثقافة الشيوعية إلى مدارس رياض الأطفال بعد أن تركزت ونمت فى مراحل التعليم المختلفة وخصوصا المرحلة الجامعية .

رابعاً : المبادرة بإلغاء الشريعة الإسلامية فى قوانين الأحوال الشخصية

والعمل على تفكيك شمل الأسرة وهدم بنيانها وقطع جميع العلاقات الإنسانية بين أعضائها .

خامسا : المطالبة بمنع قيام الأبوين من القيام بواجبهما من تربية أولادهما عن طريق انتزاع الأطفال وإلحاقهم بالمؤسسات التربوية .

سادسا : إلغاء التزام الزوجة بطاعة زوجها أو معاملة أهله بالمعروف وإلغاء ركنى الزواج الأساسيين الصداق والولى وكذا النفقة الواجبة على الزوج أثناء الزوجية وفى فترة العدة لأن النفقة رمز تفوق الزوج على زوجته وهذا يتنافى مع الروح التقدمية (١) .

ومع الأسف الشديد فإنه قد وجد من أبناء المسلمين من يروج للفكر الشيوعى فى وسائل الإعلام مقروءا أو مسموعا أو مرئيا وماهى إلا سنوات قلائل حتى انكشف الفكر الماركسى على حقيقته وبانت حقيقة دعوته وصمدت الثقافة الإسلامية فى وجهه ورابطت لتحمى الثغور الإسلامية وظهر سمو الفكر الإسلامى وأصالته واستجابته الحقيقية لأشواق المسلمين وتطلعاتهم واتضح للعالم أجمع أن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ولا المساومة ولا التلفيق ولا الترقيع [أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون] (٢) .

وقد منيت الشيوعية بهزيمة ساحقة فى كل مبادئها وفى سائر نظمها لأن أحلامها البراقة لم تتحقق . ووعودها الخادعة باءت بالفشل وتحمل الناس فى اعتناقهم لمبادئها أشد أنواع الذل والهوان ، والانقسام وها هى الدول الأوربية التى أخذت بالفكر الماركس فى حياتها تزيح عنها هذا الكابوس الذى حطم حياتها بالفقر والحرمان والإباحية ، وما أمر

(١) أنور الجندى : هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ط دار الاعتصام .

(٢) الآية رقم ٥٠ من سورة المائدة .

ألمانيا الشرقية بخاف على أحد وكذا الأحزاب الشيوعية فى كل البلاد مصيرها إلى الهزيمة ومآلها إلى الخسران .

رابعاً : التغريب :

وهو حركة موجهة لصبغ الثقافة الاسلامية بصبغة غربية وإخراجها عن طابعها الإسلامى الخالص على النحو الذى يجعلها تفقد ذاتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ [الثقافة العالمية] .

ولاريب أن هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الإسلامى فى العصور المختلفة لأنه وليد الاستعمار وربيب الاستشراق وابن التبشير وهو فرق ذلك مؤامرة صهيونية صليبية ضد الإسلام والمسلمين .

والتغريب حركة كاملة البناء له نظمه ووسائله وأهدافه وقادته ودعاته وهو يعتمد على وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة كما يعتمد على دور الثقافة والتعليم .

ويهدف التغريب باختصار إلى توهين المسلمين وبالتالى قبولهم للثقافة الغربية وتقليدهم لحياة الغرب واقتفاء سيرة الأوربيين فى جميع شئونهم حتى تصبح حياة المسلمين صورة من حياتهم على حساب شريعتهم وعقيدتهم وثقافاتهم . كما يهدف إلى إثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين ويحاول أن يرد التراث الإسلامى إلى الفرس والهنود واليونان كما يهتم بدراسة عالم ما قبل الإسلام وإحيائه فى صور شتى كالفرعونية والجاهلية والوثنية والفارسية والمجوسية القديمة وإثارة دعوات حديثة كالبهائية والقاديانية كما يسمى لتمزيق وحدة الفكر العربى الإسلامى بعزل الأخلاق عن التربية ، والدين عن الأدب والسياسة كما يعمل لنشر الإلحاد والاباحية والدعاية لهما .

ومما يدعو إلى الألم والأسى والمرارة أن بعض الكتاب والأدباء من

العرب والمسلمين فتنوا بكل ما هو غربى وجعلوه مثلا يحتذى ودعوا بلادهم إلى اقتفاء أثر الغرب فى كل شىء وهذا هو عميد الأدب العربى يقول : [نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى وحقيقة وشكلا][1] .

وقد استخدم التغريب أساليب شتى ومتنوعة لتحقيق أغراضه المنكرة وأهم هذه الأساليب ما يأتى :

١ — العلمانية :

وقد يتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة [العلمانية] أنها تعنى رفع شعار العلم ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الإسلام لأن العلم إحدى وسائله وبعض أهدافه ، وهذا بعيد كل البعد عن مفهوم لفظ العلمانية ، ذلك لأن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية Seculalri وهى اشتقاق من Secular وهى مرادفة للكلمة الانجليزية unrelegous أى لادينى أوغير دينى ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية ، كما أن من الباحثين من يؤكد عدم صلتها بالعلم ويدرجها تحت إطار المذاهب والحركات الأخلاقية ذات الصبغة المادية وخاصة التى تدعو إلى إقامة الحياة على أسس لا تتصل بالدين ، والعلمانية كحركة مناهضة للدين لها جذورها القديمة وإن لم تأخذ هذا المصطلح إلا حديثا فقد بدأت تظهر معالمها كتيار فلسفى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر على يد مجموعة من الفلاسفة الأوربيين من أمثال [لوك] و [هيوم] و [هوبز] ، وغيرهم حيث انطوت فلسفتهم على ضرورة فصل الدين عن الدولة مع قصر السيادة على الدولة فقط وجعل حرية الاعتقاد لمن يريد بشرط أن لاتؤثر هذه الحرية على سيادة الدولة ، ثم كان الفيلسوف الألمانى [فيرباخ] الذى رفض فى فلسفته أن تقوم الدولة على أساس الاعتقاد فى الله أو فى الدين ، وأما العلمانية

(١) د/ طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر جـ ١ صـ ٣٢ ، ٣٤

فى العصر الحاضر فقد ظهرت فى منتصف القرن التاسع عشر فى إنجلترا على يد (جورج جاكوب) وهى ليس لها صلة بالعلم من قريب أو من بعيد ونسبتها إلى العلم التجريبي تنطوى على الخداع والتضليل وتزييف الحقائق والتلاعب بالألفاظ وذلك للاختلاف الجوهرى بينها وبين العلم[١] .

وهى ترفض كل نظام أو قيمة تنسب إلى الدين من قريب أو من بعيد وهى دعوة صارخة لفصل الدين عن الدولة لإيمانها بضرورة هيمنة العقل على الحياة وهى من السهام الموجهة للنيل من الإسلام والمسلمين[٢] .

وسائل نشر العلمانية :

حرص الغرب على نشر العلمانية فى البلاد الإسلامية بسبل متعددة بما توصل إليه من تقدم علمى وتكنولوجى فى عالم الإعلام والاتصال لتحقيق أهدافه وهذا هو السبب الذى جعلنا نسمع عن بلاد إسلامية متخلفة إلى درجة كبيرة يدخل فيها الإرسال التليفزيونى قبل محو أمية أبنائها التى تزيد على التسعين فى المائة ، وكانت وسائل نشر المبادىء العلمانية ما يأتى :

---

(١) لأن العلم التجريبى يقصر دائرة مجاله على العلوم الطبيعية الرياضية أو بمعنى آخر على تفسير ظواهر الأشياء

(٢) راجع : د/محمد البهى : الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص ١٢ — ٣٥ و د/جميل أبو العلا حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط عدد ٥ سنة ١٩٨٧ ص ٤ — ٦

أولا : التعليم :

إن من أخطر الأساليب التى اتخذتها العلمانية (التعليم والثقافة) بهدف تمييع الشخصيه الإسلامية ووضعها فى القالب الذى تريده ، ذلك لأن التعليم طريق مختصر وممهد لتضليل الأفكار وتشويه الحقائق وبلبلة الآراء ... بواسطة المدرس العلمانى الذى يمكنه أن يضع الأمور وفق إرادته وبالطريقة التى تخدم مصلحته ثم يوجه الأنظار إليها ويسلط الأضواء عليها ، فإذا الجيل بأكمله يرى ما يراه المدرس ، وإذا بالطالب يهوى ما يهواه مدرسه ويكره ما يكرهه مدرسه فيرى الصحيح خطأ والخطأ صحيحا لأنه إنما ينظر إلى الأشياء بعين مدرسه وهكذا تنقلب المفاهيم وتنعكس الحقائق وتتغير المبادىء تبعاً لأطماع المدرس ونواياه، وبهذه الطريقة يمكن تغيير اتجاه جيل كامل من الأجيال وإذا فسد الجيل فمن الصعب إعادة الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها والقيم إلى مفاهيمها ومن العسير إبعاد الشبهات بعد إنتشارها وتصحيح الأفكار بعد فسادها .

وقد أدرك أعداء الإسلام أثر التعليم الموجه فى تمهيد الطريق لاستعمار البلاد الإسلامية مما دفعهم إلى فتح المدارس بمرسليها الدينيين ليعبدوا لها طريق الاستعمار والسيطرة يقول القائد الفرنسى (بيير كيللر) عن وسائل التأثير الفرنسى فى الشام قبل إحتلالها (كانت التربية الوطنية بكاملها تقريبا فى أيدينا وفى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم فى مدارسنا وكان بين هؤلاء فتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة مما جعل الجمعية المركزية السورية التى تألفت فى باريس تعلن عام ١٩١٧ أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا بعد أن تعلموا لغتها

وثقافتها على مر الأجيال ، ومثل هـذا التصريح يبين السر فى إهتما
الأوربين بإنشاء مدارس تبشيرية فى المدن والقرى على السوا
وفى إرسال المدرسين والمدرسات إلى تلك المدارس وفى الإشراف
الكامل على مناهج التعليم والتثقيف فى البلاد الإسلامية التى وقعت تح
طائلة الكفر والضلال والزيف والبهتان وكان لهم أسلوبهم فى توجي
التعليم الوجهة التى يريدونها بالأساليب الآتية :

(ا) إنشاء مدارس مدنية تعلم جميع العلوم الكونية والإنسانية ع
العلوم الإسلامية .

(ب) إلقاء الحصار المادى والمعنوى على المدارس الأهلية أو
الحكومية التى تقوم بتعليم العلوم الإسلامية وذلك بقطع المعونات
المادية عنها وبالتقليل من شأن أستاذ الدين والاستخفاف بأقواله وبوصفه
بالرجعية والجمود والتحجر .

(ج) إنشاء مدارس تبشيرية تحتضن أبناء المسلمين منذ نعومة
أظفارهم حتى يصلوا إلى المرحلة الجامعية إضافة إلى إنشاء الجامعة
الأمريكية فى بيروت ومصر .

(د) إرسال البعثات من أبناء المسلمين إلى البلاد الأجنبية لمتابعة
الدراسة قبل أن ينهلوا من الثقافة الإسلامية وقبل أن يقوى واز
الإيمان فى قلوبهم وقبل أن تنمو شخصيتهم الإسلامية ثم يعودون بعد أن
أتموا تعليمهم فى جامعات أوروبا وقد أتوا معهم بالأوبئة السارية
والأمراض الخبيثة فيدعون لفصل الدين عن الدولة كما ينادون بأن تخضع
جميع الأنظمة للقوانين الفرنسية والرومانية .

(هـ) نشر الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم وبخاصة
فى المرحلة الجامعية وهى مرحلة الشباب المتفتح المتوثب وكذا فى المرحلة

الابتدائية التى تمتد إلى سن المراهقة ، هـذا بالإضافة إلى تعرية المرأة
المسلمة أو كشف الحجاب عنها بدعوى التحرر والتمدين ، ولم يقتصر
الأمر على كشف الوجه بل كشفت المرأة المسلمة عن المحارم التى لا خلاف
على حرمتها[1] .

وهكذا يسبق التحرر الاختلاط ليزول الحياء قبل الاختلاط فيسقط
آخر مانع يحول دون اشتعال النار والوقوع فى الفاحشة .

وهكذا مثل الاختلاط فى التعليم تكتيكا مرحليا مارسه أعداء
الإسلام فى البلاد الإسلامية فهل أدرك القائمون على التعليم خطورة هذه
الأمور وهل أدركوا أهمية الإتجاه إلى تدريس الثقافة الإسلامية حتى يتعلم
أبناؤنا وبناتنا التعليم الصحيح السليم المتكامل الذى يجعل من أولادنا جيلا
متفتحا واعيا يقظا حذرا فطنا كيسا فاهما لمبادئه معتزا بدينه متذوقا للغته
مرتبطا بتراثه الإسلامى وأمته الإسلامية مع جعل العلوم الدينية أساسا
للتعليم فى كافة المراحل بل وأساسا لكل شئون الحياة لأنه لا انفصام
فى الإسلام ولا ازدواجية ولا ثنائية فالإسلام أصل متين ونبع أصيل .

ثانياً : الاعلام :

ليس التعليم وحده هو الذى يؤثر فى بناء الإنسان وصنع الأجيال .
وإنما هناك مصنع آخر له نفس التأثير إن لم يكن أكثر : هذا المصنع تتعدد
ألوانه وتختلف أشكاله ويزداد أثره ويكثر انتشاره ويعيش مع الأفراد
والجماعات والرجال والنساء . والشباب والشيوخ والأطفال والكبار

---

(١) أنظر د/ على جريشة : أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى
ص ٦٤—٦٩ ط دار الاعتصام مرجع سابق

والجهلة والمثقفين . إن هذا المصنع الضخم والحياة الدافقة والحركة المتجددة هو (الإعلام) مقروءا كان أو مسموعا أو مرئيا إنه وسيلة هامة وله دور خطير فى الحياة فقد يخدم الخير ويكون وسيلة للنطق بالحق . وقد يكون وسيلة شر ، وأداة للباطل يقف إلى جانبه ويعلى صوته ، ويضلل الأفكار ويشوه الحقائق وقد فطن العدو الماكر إلى أهمية الاعلام فاستغله على أوسع نطاق .

يقول المستشرق [جب] (إن الصحافة هى أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً فى العالم الإسلامى . وإن مديرى الصحف اليومية ينتمون إلى ما يطلق عليه اسم التقدميين ولذلك فإن هذه الصحف واقعة تحت تأثير آراء الغرب والأساليب الغربية بما تشتمل عليه من مقالات مترجمة ومن كتابات تشرح الحركات السياسية والاقتصادية فى أوربا)(١)

والصحافة التى تعمل لحساب العلمانية تعتبر من أهم وسائل الاعلام لدى حركة التغريب باعتبارها أكثر الوسائل الإعلامية شيوعا وأبعدها تأثيرا سواء كانت محلية أو مستوردة وهى تتبع أسلوب المدح والتمجيد لأوربا وللحياة الأوربية بحيث تدفع كل قارىء لأن تكون أحلى أمانيه أن يؤم أوربا وأن يعيش فى جوها وأن يستمتع بحياة الرفاهية والترف وإن أوربا اليوم قد تقدمت تقدما سريعاً فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والمالية والتعليمية . وماهذا إلا لسر دفين هو فصل الدين عن الدولة . وإخضاع إدارة الحياة الداخلية والخارجية السياسية والأمنية لهيئة علمانية بعيدة كل البعد عن الدين.

(١) راجع د / نادية شريف العمرى ص ٢٥١ . ٢٥٢ نقلا عن كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ٢ ص ٢١٧ — ٢١٩

وتشير هذه الكتابات إلى أن كل مجتمع يريد أن يصل إلى ذروة التقدم وسنام النهضة عليه أن يخلع عن عنقه كل دين . وكل قيمة تربطه بالدين .

ولما للإعلام من تأثير واسع المدى على الإنسان استغلته الصهيونية فى مخططات إعلامية بعيدة الهدف شديدة التأثير حيث سعت من خلاله لشراء ضمائر مديرى الصحف والعاملين فيها تستأجر أقلامهم وتسخر عقولهم وتستعبد قلوبهم فيكتب هؤلاء ما يحقق مصلحة اليهود وينطقون بما يخدم رغبات الصهاينة وينشرون ماينفذ مطامعهم ويحقق آمالهم .

وليس المراد بالصحافة مايقرأ فقط ولكن مثله مايشاهده الناس ويسمعونه من خلال المذياع والتلفاز وغيرهما وهكذا أصبح الإعلام فى معظم البلاد الإسلامية بوقا لدعوات الغرب ، أما ماينفع البلاد والعباد ويبصر الشباب بحاضره وماضيه ومستقبله فالاعلام لاه عنه بانشغاله بالنقد لكل ماهو متصل بالدين . ولم ينج من هذا التعتيم الاعلامى الإعلام الإسلامى البعيد عن التبعية لأى استعمار عسكرى أو فكرى ، الناطق باسم الإسلام ، والواقع المشاهد خير دليل على ذلك .

ثالثاً : القانون .

لقد حرص أعداء الإسلام والمتربصين به الدوائر على إبعاد الشريعة الإسلامية عن مجال السلطة وذلك عن طريق ربط مصالح الناس الحيوية بقانون آخر يستقطب جهودهم ويصرفهم عملياً عن الاهتمام بأحكام الشريعة الإسلامية فتموت هى الأخرى عمليا ولو بالتدريج على حين تنتقل الحياة والحركة والنشاط إلى شرائع الكفار وتتركزحولها وقد أخذ هذا الاتجاه طريقين خطيرين حققا الغاية المستهدفة إلى أبعد الحدود .

الطريق الأول عام : يربط جمهور المتقاضين من المسلمين أنفسهم بشرائع الكفار لأنها أصبحت قوانين الدولة صاحبة القوة والتنفيذ والتي لاسبيل إلى قضاء مصالحهم إلا من خلالها خاصة فى الخصومات ومن ثم اتجه الناس إلى محاكم هذه الشرائع قضاتها ومحاميها وخبرائها يسألونهم عن حكم القانون لا عن حكم الشريعة التى حصرت فى زوايا الأحوال الشخصية، وكان هذا من أخطر الانقلابات الفكرية والعلمية التى أدخلت على المسلمين وزينت لهم فى ثياب الإصلاح والتقدمية إلخ .

الطريق الثانى : خاص ، يربط فئة من خلاصة المثقفين المسلمين بدائرة نفوذه الفكرى ربطا محكما وهم الطبقة القائمة على القانون الوافد دراسة وتعليماً وأستاذية وقضاء ونيابة ومحاماة ... إلخ .

وكل هذا يقتضى استمرار إتقان لغات العدو ومصطلحاته القانونية ومتابعة شروح فقهائه وشد الرحال إلى عواصمه للتلقى من أساتذته والتخصص القانونى فى جامعاته ومعاهده ، واطراد الاقتباس والأخذ والرجوع إلى نظمه التشريعية مع مايتبع ذلك عادة من فتنة المبهور واعتزاز المغلوب بالتتلمذ على أعلام القانون والتشريع فى دول الحضارة الغالبة .

ولقد أدى هذا كله إلى اتجاه الفكر والولاء والتلقى التشريعى إلى قبلة الغرب ، واستدبرت بالتالى قبلة الشرق العملية جملة فكان الطالب وأساتذته المسلمون أنفسهم يذكرون (سافتين وأوستين) وأضرابهما من أساطين القانون الغربى بكل فخر واعتزاز فى الوقت الذى يخجلون أو يجهلون كل ما يتعلق بأئمة الفقه الإسلامى كأبى حنيفة والشافعى وأضرابهما ممن يكفى الواحد منهم لفخر الدهر كله وكانوا يشيرون بالبنان لمجموعات (نابليون) القانونية ولا يكادون يعلمون شيئا عن كتب الفقه الإسلامى (كمدونة) مالك و (الأم) للشافعى ونحوهما .

فإذا لاحظنا أن هؤلاء كانوا قادة لأممهم فى ميدان القضاء والتشريع وأن كثيرا منهم كان يتصدى لقيادة أمته فى المجال السياسى ويصل إلى مناصب عالية فى دوائر الحكم والتوجيه والتنفيذ . إذا لاحظنا هذا علمنا كيف أدى هذا الغزو التشريعى فى جانبه القانونى والفكرى إلى أفدح النتائج وأبشع صور التخريب فى كيان الأمة الإسلامية وشريعتها[1] .

وأكثر الدول الإسلامية بكل أسف، تمت فيها علمنة القانون والدول التى لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون ويجرى التمهيد لهذا بما يجرى من علمنة التعليم والإعلام فيوجد جيل علمانى يقدس القانون العلمانى ويولد رأى علمانى يتقبل مثل هذه العلمنة[2] .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل حاول دعاة التغريب محاولة فكرية أخرى ترمى إلى تطوير الشريعة نفسها تطويرا يقربها من مناهج الغرب وشرائعه ويزيل الفجوة الهائلة بين النمط التشريعى الإسلامى وبين القوانين الوضعية على ما بينهما من خلاف فى الأصل والهدف والأسلوب وكانت الخطة تعتمد على تربية جيل جديد من رجال الشريعة الإسلامية على مناهج خاصة . وهذا هو الذى دفع المحتلين إلى تطوير الأزهر كله وتغيير مناهجه الإسلامية ومعاييره القائمة ليصبح شيوخه أكثر قبولا للأوضاع الوافدة كالوطنية والقومية ولتنحل فيهم عقدة الرفض لكل ما هو «غير إسلامى» حتى يمكن التفاهم مع أجيالهم الحديثة لتعايش «العلمانية» على الأقل إن لم يكن احتواؤهم ونقل ولائهم التام « وقد عجز الاحتلال الانجليزى عن تنفيذ كثير من مآربه فى الأزهر خوفا من الهياج الدينى

---

(١) راجع د/ عبد الستار سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام «بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامى ص ١٩٨١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣

(٢) د/على جريشه وزميله أساليب الغزو الفكرى ص٧٤ ط دار الاعتصام

ولكن خلفاءهم وأذنابهم من دعاة التغريب حققوا ما عجز عنه الاحتلال تحت ستار الوطنية والإصلاح تارة، وبسلاح البطش والاستبداد والارهاب تارة أخرى ومن هنا استطاعوا أن يصلوا إلى علمنة القانون بما يأتى :

١ — إلغاء القضاء الشرعى جملة، وإدماج محاكمه فى « دوائر » تابعة للمحاكم الأهلية التى قامت من أول يوم على القانون الوضعى[1].

٢ — إدخال « القانون الوضعى » فى صلب البرامج الدراسية لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بعد تسميتها بهذا الإسم بموجب القانون المريب المعروف « بقانون تطوير الأزهر » بعد أن كانت تسمى بكلية الشريعة. ولم يكن الهدف من تدريسه توظيفه لخدمة الإسلام والعمل على تنميته بعيدا عن مجال الهيمنه والتوجيه ولكن دارسته كانت بقصد مزجه بالشريعة وتحكيمه بين الناس والرضا عنه وقبول وظائف السدانة له كما هو حادث الآن فى الأزهر وهو عين ما خطط له العدو من قديم وتحقق على أيدى دعاة التغريب الذين أعدهم الاحتلال ليقوموا بتحقيق أطماعه بعد رحيله. وهكذا أبعد الإسلام فى غالبية البلاد الإسلامية عن جميع النواحى السياسية والتشريعة والقضائية والاقتصادية ولم يبق منه فى المجال العملى للحياة الإسلامية سوى الأحوال الشخصية من زواج وطلاق، ونفقة، وحضانة، عدة... إلخ، ولا يمكن الرجوع إلى الحكم بالإسلام والقضاء على هذا الفكر الدخيل إلا بالرجوع إلى الإسلام ودراسته دراسة متأنية واعية وجعله مصدر التشريع المطلق فى كل جوانب الحياة بعدا عن التقليد والتبعية والانقياد.

---

(١) راجع د/ عبد الستار سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، بحث مقدم المؤتمر الفقه الإسلامى ص ١٩٨١، ٢٥٤، ٢٥٧

٢ — القومية :

أسلوب خطير من أساليب التغريب قصد به إحياء النزعات العصبية والإقليمية والعرقية التى عرفت قبل الإسلام باعتبارها من مخلفات الجاهلية التى قضى عليها الإسلام وقد عمد دعاة التغريب إلى احياء هذه النزعات بين المسلمين من جديد لأضعاف أثر رابطة العقيدة الإسلامية فى نفوسهم وهذا يؤدى إلى تفريق صفوفهم وإضعاف قوتهم بسبب تزاحم وتعارض القوميات مع بعضها البعض، وبالتالى انقسام الأمة فيما بينها إلى أشلاء مبعثرة بما يمزق وحدة فكرها ويقضى على دينها، وهذه النزعة القومية تجعل المسلم يفكر فى وطنه قبل عقيدته، ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم الذى هو من عنصر آخر أو فى بلد آخر ويعامله معاملة الأجانب والقومية المعاصرة صدرها لنا مفكروا أوربا كوسيلة من وسائل الغزو الفكرى للإسلام والمسلمين وهى تعنى عندهم رفع شعار وطنى يتمكن به جمع من الناس من أن يتوحدوا عليه فى ظل حكومة مركزية كما فعل « نابليون » عندما استحدث القومية الإيطالية والألمانية. وقد غزت هذه الفكرة القومية العالم الإسلامى فى العصر الحديث مع الحملة الفرنسية على يد « نابليون بونابرت » حيث عانت جنوده فى مصر من حرب ترفع شعار « الله أكبر والعزة للمسلمين » فلم يجد نابليون، حلا لهذه الوحدة إلا أن يخرج على الناس بواسطة العلماء المصاحبين لحملته على مصر بفكرة القومية ليفتت بها وحدة المسلمين فتركزت خططهم على الادعاء بأن العثمانيين ليسو الا شعبا آخر غير الشعب المصرى وأن هذا الشعب التركى لا رابطة له بالمصريين سوى الدين، والدين ليس له أن يتعدى إلى النواحى السياسية واهتم الفرنسيون حينذاك بإقناع الناس بأن دولة الخلافة العثمانية دولة استعمارية جاهلة متخلفة وقد أكد « فيليب حتى » المسيحى اللبنانى الموالى لحضارة الغرب المعادى للإسلام على استيراد القومية فيقول « ومما لا ريب

فيه أن القومية إنما هى بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربى من أوربا »[١] .

بهدف إقصاء الإسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامى وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية وتضعف روابط الثقافة المشتركة من لغة وقيم خلقية ويقضى على الأخوة الإسلامية ، وقد شجعت الدول الأوربية على ظهور القومية العربية فى صورتها العلمانية لتحقيق مطامعها فى احتلال الشرق الإسلامى[٢] .

ومن هنا كانت القوميات المصطنعة بأشكالها وألوانها فى العالم الإسلامى كله كالطورانية والفرعونية والكردية والفينيقية والبربرية وغيرها ما هى إلا معاول هدم للإسلام وللوحدة التى يقيمها بين معتنقيه ويجعلها أكبر وأجل من روابط الجنس واللون والإقليم واللغة وهذا هو هدف الدعاة لهذه القوميات وليس غريبا أن تنال هذه النزعات اهتمام أعداء الإسلام نظرا لخطورتها على الإسلام وثقافته ويؤكد ذلك ما نص عليه البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون : «لقد بذرنا الخلاف فى جميع أغراض الأمميين » أى غـــير اليهود» الشخصية والقومية بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا »[٣] .

(١) د/ فيليب حتى : العرب : تاريخ موجز ص ٢٥٦

(٢) د/ على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامى سنة ١٩٨١ ص ١٥٦ — ١٥٨

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفه التونسى تقديم العقاد ص ١٤٤ ط مكتبة الخانجى بالقاهرة

ومن العجيب أن يستجيب بعض الباحثين المسلمين لهذه الدعوات القومية ويجندون أقلامهم وجهودهم لها على الرغم من التباين الواضح بين مبادىء الإسلام ومبادىء الغرب فى باب القومية فالذى يعتبره الغربيون مصدر القوة هو مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الإسلامية لهذا كان من غير المعقول ولا من الممكن أن توجد فى الأمة الإسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة . ومن كان مسلماً وأراد أن يبقى على إسلامه فلابد له أن يبطل فى نفسه الشعور بأى أساس غير أساس الإسلام ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب كما أن بطلان الدعوة إلى القومية العربية أوغيرها من القوميات مما هو معلوم من الإسلام بالضرورة أمر حتمى لأنه منكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله .

وليس للمسلمين بعد هذا كله من عذر يعتذرون به لتمهيد الطريق أمام دعوة القومية أو إثارة هذه النزعة التى من شأنها تفتيت كيان الأمة وتمزيق وحدتها وجعلها دويلات ضعيفة يسهل للعدو التآمر عليها وغزوها فى عقر دارها وتملك ينابيع ثروتها وتشتيت أبنائها كما فعل فى فلسطين وكما يفعل بالأفغان وغيرهم اليوم وعلى كل مسلم أن يتمسك بقول الله تبارك وتعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »[١] .

٣ — الدعوة إلى تحرير المرأة :

إن الإسلام لا ينظر إلى المرأة والرجل نظرة واحدة ذلك لأن التفريق بين الرجل والمرأة لا يتحدد فى الأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية كما لا تتحدد أيضا فى اختلاف طرق تعليمها بل إن هذه الفوارق هى ذات

(١) الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران .

طبيعة أساسية من اختلاف نوع الأنسجة فى جسم كليهما كما أن المرأة تختلف عن الرجل كلياً فى المادة الكيماوية التى تفرز من مبيض الرحم داخل جسمها فكل خلية من جسمها تحمل طابعاً أنثوياً وهكذا تكون أعضاؤها المختلفة وقد أخذ العلماء الغربيون عند بدء العصر العلمى يسخرون من هذا الرأى وأطلقوا عليها (مخلفات العصر الجاهلى) وقالوا إن الرجل والمرأة متساويان ويرثان النسل الإنسانى بطريقة متساوية ولسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقبات فى طريق علاقاتهما الحـــرة ، وقد نتج عن هذه الفكرة مجتمعاً جديداً فى الغرب بيد أن التجارب الطويلة التى مرت بها الإنسانية بعد هذه الإباحة الجنسية القاسية على البشرية أثبتت أن المرأة والرجل لا يتساويان فطريا ولا طبيعيا . وأى مجتمع يقوم على أساس مساواتهما سوف يسبب خرابا ودمارا عظيمين للحضارة البشرية .

ولقد صدقت التجارب العملية نتائج هذه الفوارق الطبيعية فقد فشلت المرأة فى أن تحرز أية مساواة مع الرجل فى أى ميدان حتى إن الرجل يتقدم المرأة فى الميادين التى كانت تعتبر حكراً عليها فى الماضى ومن ذلك أن المرأة فشلت فى المساواة مع الرجل فى حقل السينما وليس الرجل هو الذى يدير اليوم كل ما هو متعلق بالسينما ومع ذلك فهو يتقاضى أجراً أكثر من المرأة وليس هذا هو كل ما فى الأمر فإننا لو أنكرنا القوانين الطبيعية وبدأنا نعمل على عكسها فسوف نجنى ثمار ذلك ، وهكذا جاب النظام الذى صاغه الإنسان متجاهلا الحيثيات الفارقة بين الجنسين صنوفا من الأمراض والجرائم داخل المجتمع ، إن شباب هذا المجتمع الجديد يشكو أنواعا من الأمراض الجنسية والخلقية والنفسية فضلا عن العصمة التى أهدرها المجتمع نتيجة هذا الاختلاط المروع[1] .

وقد حمل لواء الدعوة إلى تحرير المرأة قاسم أمين فى كتاب (تحرير المرأة)

(١) راجع : وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

و(المرأة الجديدة)[1] وفى الكتاب الأول ذهب إلى أن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن الدين ، كما تناول الحجاب واشتغال المرأة بالشئون العامة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وذهب فى كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغرب زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام ، ودعا فى آخر كتابه الثانى دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية . فيقول وقد انبهر بحضارة الغرب لقد (انجلت الحقيقة أمام أعيننا وعرفنا قيمة التحدى الغربى تيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة ، وإن أحوال الناس مهما اختلفت خاضعة لسلطة العلم ، لهذا نرى الأمم المتمدنة على اختلافها فى الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيما فى شكل حكومتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها بل فى كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل هذا هو الذى جعلنا نضرب الأمثال بالأوربيين ونشيد بتقاليدهم وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوربية).[2]

وقد تبع صدور هذين الكتابين وما قام به الدعاة إلى تحرير المرأة من نشاط حركة حثيثة من الحرية فى النساء والسفور والاختلاط والرحلات إلى أوربا وأمريكا للدراسات المتنوعة فى شئون المرأة[3] .

وقد أخذت الدعوة إلى تحرير المرأة أو تغريبها أولوية وأهمية لأن المرأة بلا شك نصف المجتمع وإفسادها إسراع بالمجتمع كله نحو الفساد

(١) صدر الكتاب الأول سنة ١٨٩٩ والثانى سنة ١٩٠٠

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ١٨٥ — ١٨٦

(٣) أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة ص ١٠٩ ، ١١٠ نقلا عن د/ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ٢ ص ٢٣٥ .

فمن المعروف أن المرأة ذات أثر لا ينكر فى تربية الأبناء وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم إنها الجامعة التى يتخرج منها كل مسلم بل كل إنسان ومن هنا يكون تشويهها تشويها لأفراد الأسرة من الرجال والنساء الذين يحملون على عاتقهم آمال المستقبل ، وتحرير المرأة من بيتها يعنى إغلاق هذه الجامعة الأولى التى خرجت إلينا من قبل تلك الأجيال العظيمة التى دافعت عن الإسلام وحملته للدنيا كلها . وإذا تم إغلاق هذه الجامعة وتحررت المرأة كما يريد دعاة التغريب ، فمعنى ذلك انعدام الخريجين من ذلك الطراز ويعنى غلبة الخريجين من طراز آخر . وهذا ما حدث ، ثم تبع تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيها بمعنى كشف ما أمر الله أن يستر وهتك ما أمر الله أن يصان فنادوا بأن تخلع المرأة حجابها ففعلت وشجعها على ذلك الغافلون من أبناء دينها ثم نادوا بأن تتجرد من ملابسها شيئاً فشيئاً ، ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى أصبح اختلاط البنات والبنين شيئاً مسلماً به فى معاهد التعليم وفى الحياة الاجتماعية ، ثم زجوا بالمرأة فى ميادين العمل ومصارعة الحياة ومزاحمة الرجال تقوم بما لا يتفق مع طبيعتها وأنوثتها فعملت صاغرة ذليلة عاملة فى المزارع والمصانع ، وخدمت الرجال فى الفنادق ، وقامت بالأدوار التمثيلية لتتعهم بصوتها وجسمها وما حرم الله عليها فعله حتى غدت سلعة رخيصة تباع وتشترى ، مما كان له دور كبير فى الإغراء بالفاحشة والدعوة إليها .

ولم تقف حملات دعاة التغريب للمرأة عند هذا الحد وإنما تجاوزوا ذلك إلى العبث بحقوقها وواجباتها التى فرضتها الشريعة الإسلامية والتى هى أكرم الأساليب لحفظ كرامة المرأة وصيانة حاضرها ومستقبلها فعبثوا بنظام الزواج والطلاق ، والحضانة والميراث .

وأعجب العجب أن نفذت ذلك بعض البلاد الإسلامية ، وهى سعيدة بأن المرأة بهذا سوف تكون مثل المرأة الأوربية تماما ، وليتهم يعلمون مدى ما وصلت إليه المرأة الأوربية من مهانة ، وليتهم يعلمون إلى كم تضيق

المرأة الأوربية بما هى فيه وما هى عليه من حال[1] . إن الحل ليس تحرراً من الدين وإنما عودة إلى الدين والتزام بضوابطه وأخلاقه ، لأنه لو نجحت هذه الدعوة لاندثر الإسلام وزالت تعاليمه خصوصاً بعد أن استجاب لها الراغبون فى السقوط من السذج والجهلاء الذين حسبوها علاجا لهذا الشرق الإسلامى من تخلفه وعدم نهوضه .

وبقى أن ينهض العاملون المخلصون ليفضحوا المخطط الأثيم للقضاء على الإسلام ، وليقوموا بما يجب عليهم نحو دينهم وأوطانهم [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون][2] فهل من مجيب ؟.

دور الثقافة الإسلامية فى العصر الحاضر :

إن أصول الثقافة الإسلامية حقائق كلية كبرى صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وهى غير قابلة للتغيير وأى دعوة تدعو إلى تغيير ولو حرف منها هى دعوى باطلة يجب القضاء عليها فى مهدها .

ذلك لأن هذه الأصول إنما هى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتفرع عن هذه الأصول مسائل متنوعة وتطبيقات مختلفة فى مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وهذه المسائل يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة فى التطبيق ، فمثلا الشورى مبدأ إسلامى ثابت شرعا ، يقول الله تبارك وتعالى [وشاورهم فى الأمر][3].

(١) انظر د / على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ١١٢ ، ١١٣ ، د/ على جريشة : أساليب الغزو الفكرى ص٨٩-٩١

(٢) الآية رقم ٢٤ من سورة الأنفال .

(٣) الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

فمن المعروف أن لمرأة ذات أثر لا ينكر فى تربية الأبناء وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم إنها الجامعة التى يتخرج منها كل مسلم بل كل إنسان ومن هنا يكون تشويهها تشويها لأفراد الأسرة من الرجال والنساء الذين يحملون على عاتقهم آمال المستقبل ، وتحرير المرأة من بيتها يعنى إغلاق هذه الجامعة الأولى التى خرجت إلينا من قبل تلك الأجيال العظيمة التى دافعت عن الإسلام وحملته للدنيا كلها . وإذا تم إغلاق هذه الجامعة وتحررت المرأة كما يريد دعاة التغريب ، فمعنى ذلك انعدام الخريجين من ذلك الطراز ويعنى غلبة الخريجين من طراز آخر . وهذا ما حدث ، ثم تبع تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيها بمعنى كشف ما أمر الله أن يستر وهتك ما أمر الله أن يصان فنادوا بأن تخلع المرأة حجابها ففعلت وشجعها على ذلك الغافلون من أبناء دينها ثم نادوا بأن تتجرد من ملابسها شيئاً فشيئاً ، ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى أصبح اختلاط البنات والبنين شيئاً مسلماً به فى معاهد التعليم وفى الحياة الاجتماعية ، ثم زجوا بالمرأة فى ميادين العمل ومصارعة الحياة ومزاحمة الرجال تقوم بما لا يتفق مع طبيعتها وأنوثتها فعملت صاغرة ذليلة عاملة فى المزارع والمصانع ، وخدمت الرجال فى الفنادق ، وقامت بالأدوار التمثيلية لتمتعهم بصوتها وجسمها وما حرم الله عليها فعله حتى غدت سلعة رخيصة تباع وتشترى ، مما كان له دور كبير فى الإغراء بالفاحشة والدعوة إليها .

ولم تقف حملات دعاة التغريب للمرأة عند هذا الحد وإنما تجاوزوا ذلك إلى العبث بحقوقها وواجباتها التى فرضتها الشريعة الإسلامية والتى هى أكرم الأساليب لحفظ كرامة المرأة وصيانة حاضرها ومستقبلها فعبثوا بنظام الزواج والطلاق ، والحضانة والميراث .

وأعجب العجب أن نفذت ذلك بعض البلاد الإسلامية ، وهى سعيدة بأن المرأة بهذا سوف تكون مثل المرأة الأوربية تماما ، وليتهم يعلمون مدى ما وصلت إليه المرأة الأوربية من مهانة ، وليتهم يعلمون إلى كم تضيق

المرأة الأوربية بما هى فيه وما هى عليه من حال[١] . إن الحل ليس تحرراً من الدين وإنما عودة إلى الدين والتزام بضوابطه وأخلاقه ، لأنه لو نجحت هذه الدعوة لاندثر الإسلام وزالت تعاليمه خصوصاً بعد أن استجاب لها الراغبون فى السقوط من السذج والجهلاء الذين حسبوها علاجا لهذا الشرق الإسلامى من تخلفه وعدم نهوضه .

وبقى أن ينهض العاملون المخلصون ليفضحوا المخطط الأثيم للقضاء على الإسلام ، وليقوموا بما يجب عليهم نحو دينهم وأوطانهم [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون][٢] فهل من مجيب ؟.

دور الثقافة الإسلامية فى العصر الحاضر :

إن أصول الثقافة الإسلامية حقائق كلية كبرى صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وهى غير قابلة للتغيير وأى دعوة تدعو إلى تغيير ولو حرف منها هى دعوى باطلة يجب القضاء عليها فى مهدها .

ذلك لأن هذه الأصول إنما هى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتفرع عن هذه الأصول مسائل متنوعة وتطبيقات مختلفة فى مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وهذه المسائل يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة فى التطبيق ، فمثلا الشورى مبدأ إسلامى ثابت شرعا ، يقول الله تبارك وتعالى [وشاورهم فى الأمر][٣].

(١) انظر د / على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ١١٢ ، ١١٣ ، د/ على جريشة : أساليب الغزو الفكرى ص ٨٩-٩١

(٢) الآية رقم ٢٤ من سورة الأنفال .

(٣) الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

وقوله تعالى [وأمرهم شورى بينهم][1] لكن أسلوب التطبيق وكيفية التنفيذ يمكن أن يختلف تبعا للزمان والمكان والأعراف ذلك لأننا لانجد نصا ملزما يبين أسلوبا معينا فى تنفيذ قاعدة الشورى والذى يحدد الأسلوب حسب مقتضيات العصر هو الفكر الإسلامى أو الثقافة الإسلامية ،

وعلى هذا فالثقافة الاسلامية يمكن أن تقوم بدور بارز فى تطوير الأساليب والوسائل لتطبيق الأحكام الشرعية والقواعد الثابتة التى لاتختلف باختلاف العصر والمجتمع وأيضاً: [الربا] محرم شرعا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ولا يصح التعامل به ولايجوز لدولة إسلامية أن تسمح بإقامة البنوك الربوية على أرضها وديارها .

ولكن هناك نظام مصرفى آخر يقوم على غير الربا كالمؤسسات المصرفية الاسلامية والتى تسمى [البنوك اللاربوية] ويأتى دور الثقافة الاسلامية فهى التى تبين الأسس العامة لإنشاء مثل هذه المصارف الاسلامية وهى التى تحدد الخدمات المصرفية التى يمكن أن تقدمها هذه البنوك دون اللجوء إلى الربا فى أى نشاط من أنشطتها[2].

وبهذا الدور فإن الثقافة الاسلامية فى الوقت المعاصر تخدم الأهداف العامة للشريعة الاسلامية فى كافة الميادين ، فالثقافة الاسلامية التى تقوم بواجب بناء الإنسان المسلم تقوم فى الوقت نفسه بواجب الدفاع عن حصنه ضد التحديات .

---

(١) الآية رقم ٣٨ من سورة الشورى .

(٢) د / عباس حسنى : عقد التأمين فى الفقه الإسلامى والقانون المقارن ص ٥

وبما أن هذه التحديات تتطور مع العصر وتلبس أثوابا جديدة وتأخذ شعارات لها رنينها وتظهر بأسماء براقة توجد أساليب حديثة ، فإن الثقافة الإسلامية يجب أن تقدم الوسيلة الدفاعية المتطورة وأن تستعد لكل خصم يريد أن يزيف الحقائق الإسلامية أو يشوه تكامل ونقاء التصور الإسلامى المنسجم[1].

وحينما حاول الشيوعيون نشر مبادئهم استبدلوا كلمة [الاشتراكية] لتحل محل الشيوعية ظنا منهم أن استعمال تعبير مغاير يخفى نواياهم ويحقق لهم مطامعهم ولكن الاشتراكية لم تحقق لهم النجاح المنشود حتى فى أخص مجال يدعون اليه وهو النظام الاقتصادى وملكية الدولة لوسائل الإنتاج فلجأوا إلى استعمال شعار آخر هو [اليسارية] واهمين أن هذا المبدأ يمثل الأسلوب الثورى المعارض فى أى بلد وجد وليس له علاقة فى رفض دين التوحيد وإشاعة الاباحية والفوضى الخلقية والاجتماعية[2]

وهكذا فإن التحديات المعادية للإسلام تلبس كل يوم لباسا جديدا وتتخذ أسلوبا متغيرا وهى فى حقيقة أمرها تهدف إلى طعن المسلمين فى ديارهم وعقيدتهم وأخلاقهم كما تهدف إلى تشويه الإسلام ولهذا وجب على الثقافة الإسلامية أن تتسلح بالوسائل المتطورة التى تتناسب مع كل عصر وتتلاءم مع كل بيئة لتحمى الإنسان المسلم والعقيدة الإسلامية ولترد كيد الأعداء .

كما أن الثقافة الإسلامية زاد ضرورى لكل مسلم يحب أن يحيا حياة إسلامية فى ظل عقيدة التوحيد ، وهى سلاح قوى بيد كل مسلم يملك

---

(١) أنظر د / عبد الحليم عويس ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة ص ٢٥

(٢) راجع : د / نادية العمرى أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٥١ ، ٥٢

العزم الإيجابى والإرادة القوية ليواجه تحديات العصر ويتغلب عليها بخير زاد للمسلم الواعى ثقافة إسلامية تحصن عقله ونفسه وأسرته ليتقدم فى ركب الحياة ويعايش أحداث العصر .

وليست الثقافة الإسلامية قضايا نظرية تجريدية فقط وإنما هى نمط من التصور والسلوك معا ، وإذا ظل الفكر حبيس العقل والوجدان دون أن يترجم فى بعض المواقف التى تثبت وجوده وتعكس ملامحه فإنه يفقد فعاليته وتأثيره ويصبح أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ،

وحتى تتغلب الثقافة الإسلامية على مايوجه اليها من تحديات عصرية، لابد أن يجسدها المسلم فى برنامج خاص لحياته من خلاله يتحرك وفى محيطه يعيش فلا يخرج عن دائرة إسلامه ، بل لابد أن تنعكس حقيقة الثقافة الإسلامية على كل مواقفه فى الحياة اجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية ... إلخ . فيحيا من خلالها حياة آمنة هادئة مستقرة .

والله أسأل أن يبصرنا بنوايا أعدائنا وأن يحمينا من مكايدهم، وأن يلهمنا العمل الجاد لرد كيدهم وأن يوفقنا لنيل فضله العظيم إنه خير معين ونعم مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

أهم مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً : من كتب السنة

١ — ابن ماجة : السنن : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار الفكر العربى .

٢ — الترمذى : السنن : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى / الحلبى ط أولى ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

٣ — الحافظ المنذرى : الترغيب والترهيب نشر مكتبة الدعوة الإسلامية . شباب الأزهر .

ثالثاً : مراجع متنوعة :

١ — ابن منظور : لسان العرب — ط دار صادر بيروت .

٢ — أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ط دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ م :

٣ — آل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى — ترجمة محى الدين الخطيب ومساعد اليافى — المطبعة السلفية ١٣٨٣ هـ .

٤ — إبراهيم خليل أحمد : المستشرقون فى العالم العربى والإسلامى ط مكتبة الوعى العربى بالقاهرة ١٣٨٤ هـ .

٥ — أحمد حسن الباقورى : أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية دار المعارف بالقاهرة ط ثالثة .

٦ — د . أحمد نوافل وآخران : فى الثقافة الإسلامية ط أولى — دار المعارف للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٤ م .

٧ — أنور الجندى : هزيمة الشيوعية فى عالم الاسلام ط دار الإعتصام ١٩٧٨ م

٨ — د / حسين مؤنث : الحضارة — ط الكويت بدون

٩ — الزمخشرى : أساس البلاغة مصر ط دار مطابع الشعب ١٩٦٠ م

١٠ — سيد قطب : فى ظلال القرآن ط الشروق ط سابعة ١٩٧٨ م

١١ — » » : خصائص التصور الإسلامى ومقوماتة دار الشروق ط خامسة ١٩٨٠ م .

١٢ — صالح دياب هندى : دراسات فى الثقافة الإسلامية ط الثالثة ١٩٨٢ م .

١٣ — د/ عبد الحليم عويس : ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة ط الرياض ١٩٧٩ م

١٤ — عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية المجلد الرابع ط بيروت ١٩٧١ م .

١٥ — عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين ط بيروت ١٩٧١ م .

١٦ — د/ على جريشه وشريكه : أساليب الغزو الفكرى دار الاعتصام ط أولى ١٩٧٧ م

١٧ — عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ط بيروت ١٩٧٣ م .

١٨ — عماد الدين خليل : فى النقد الإسلامى ومقوماته ط بيروت ١٩٧٣ م .

١٩ — عاطف غيث : دراسات إنسانية واجتماعية ط دار المعارف ١٩٦٥ م

٢٠ — الفيروزبادى : القاموس المحيط — المكتبة التجارية الكبرى ط رابعة ١٣٥٧ هـ مصر .

٢١ — القرطبى : الجامع الأحكام القرآن — دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ م

٢٢ — محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ط ثانية ١٩٢٤ مصر

٢٣ — محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ط أولى دار مصر للطباعة ١٩٨٠ م

٢٤ — د / محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨ م

٢٥ — محمد المبارك : الفكر الإسلامى فى مواجهة الأفكار الغربية — ط دار الفكر بيروت ١٩٦٨ م .

٢٦ — د / محمد البهى : الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الأسلامية المعاصرة مكتبة وهبة ط ثانيه ١٩٨١ م .

٢٧ — محمد فارق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ط أولى الكويت ١٩٧٤ م .

٢٨ — محمد خليفه التونسى : الخطر اليهودى تقديم العقاد ط الخانجى القاهرة .

٢٩ — محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ترجمة د / عمر فروخ ط بيروت رابعة ١٩٦٢ م .

٣٠ — محمد قطب : معركة التقاليد ط دار الشروق سنة ١٩٧٧

٣١ — د / محمد رأفت سعيد : الاسلام فى موجهة التحديات ط أولى نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٧ م

٣٢ — د / مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م

٣٣ — د / نادية شريف العمرى : أضوء على الثقافة الاسلامية مؤسسة الرسالة بيروت ط أولى ١٩٨١ م

٣٤ — وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ط المختار الاسلامى بالقاهرة رابعة ١٩٧٣ م

٣٥ — د / يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام مكتبة وهبة ط أولى ١٩٧٧ م

٣٦ — يوسف كمال : مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ط ثانية ١٩٧٤ م

رابعاً : الدوريات .

١ — مجلة المسلم المعاصر عدد ١٥/١٩٧٨

٢ — حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط عدد ٥/١٩٨٧

٣ — الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ١٩٨١

مجموعة أبحاث مقدمه لمؤتمر الفقه الاسلامى بالرياض عام ١٣٩٦ هـ ١٤٠١ — ١٩٨١م

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
مفهوم الثقافة الإسلامية	٣
أولا : فى اللغة	٣
ثانياً : فى الاصطلاح	٦
الفرق بين الثقافة والعلم	٨
العلاقة بين الثقافة والحضاوة	١٠
العلاقة بين الثقافة والمدنية	١١
طرق تحصيل الثقافة	١٣
مفهوم الثقافة الإسلامية	١٣
الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات	١٥
أهداف الثقافية الإسلامية	١٨
السمات المميزة للثقافة الإسلامية	٢٠
مصادر الثقافة الإسلامية	٣٢
التحديات الفكرية للثقافة الإسلامية	٤٣
أولا : التبشير	٤٤
ثانياً : الاستشراق	٤٩
ثالثاً : الشيوعية	٥٣
رابعاً : التغريب ومن وسائله :	٥٧
١ — العلمانية	٥٨
وسائل نشر العلمانية	٥٩

الموضوع	الصفحة
أولا : التعليم	٦٠
ثانياً : الإعلام	٦٢
ثالثاً : القانون	٦٤
٢ — القومية	٦٧
٣ — الدعوة إلى تحرير المرأة	٧٠
دور الثقافة الإسلامية فى العصر الحاضر	٧٤
الخاتمة	٧٧
أهم مراجع البحث	٧٨
الفهرس	٨٢

العلمانية فى بيئتها الأولى

بقلم

طه الدسوقى حبيشى